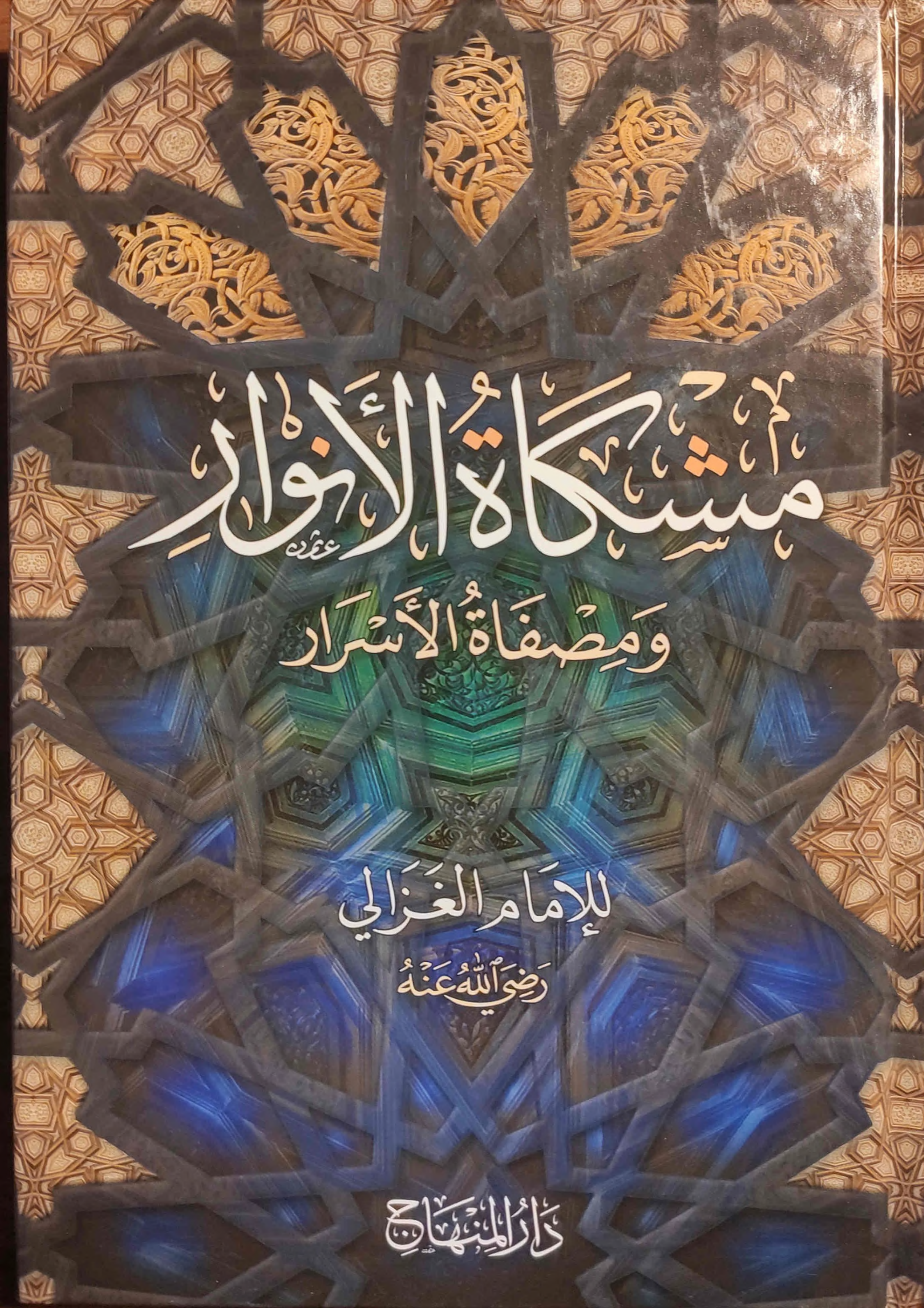


مشكاة الأنوار
ومصفاة الأسرار
للإمام الغزالي
رضي الله عنه
دار المنهاج

مشكاة الأنوار

ومصفاة الأسرار

تأليف

الإمام المجدِّد، حجة الإسلام والمسلمين

زين الدين، أبي حامد

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي

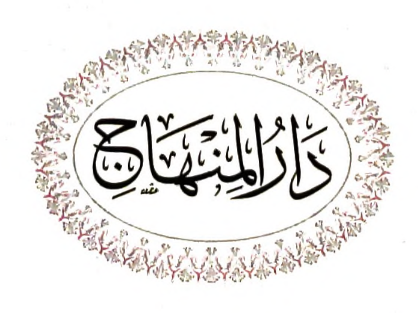
الطوسي الطابراني الشافعي

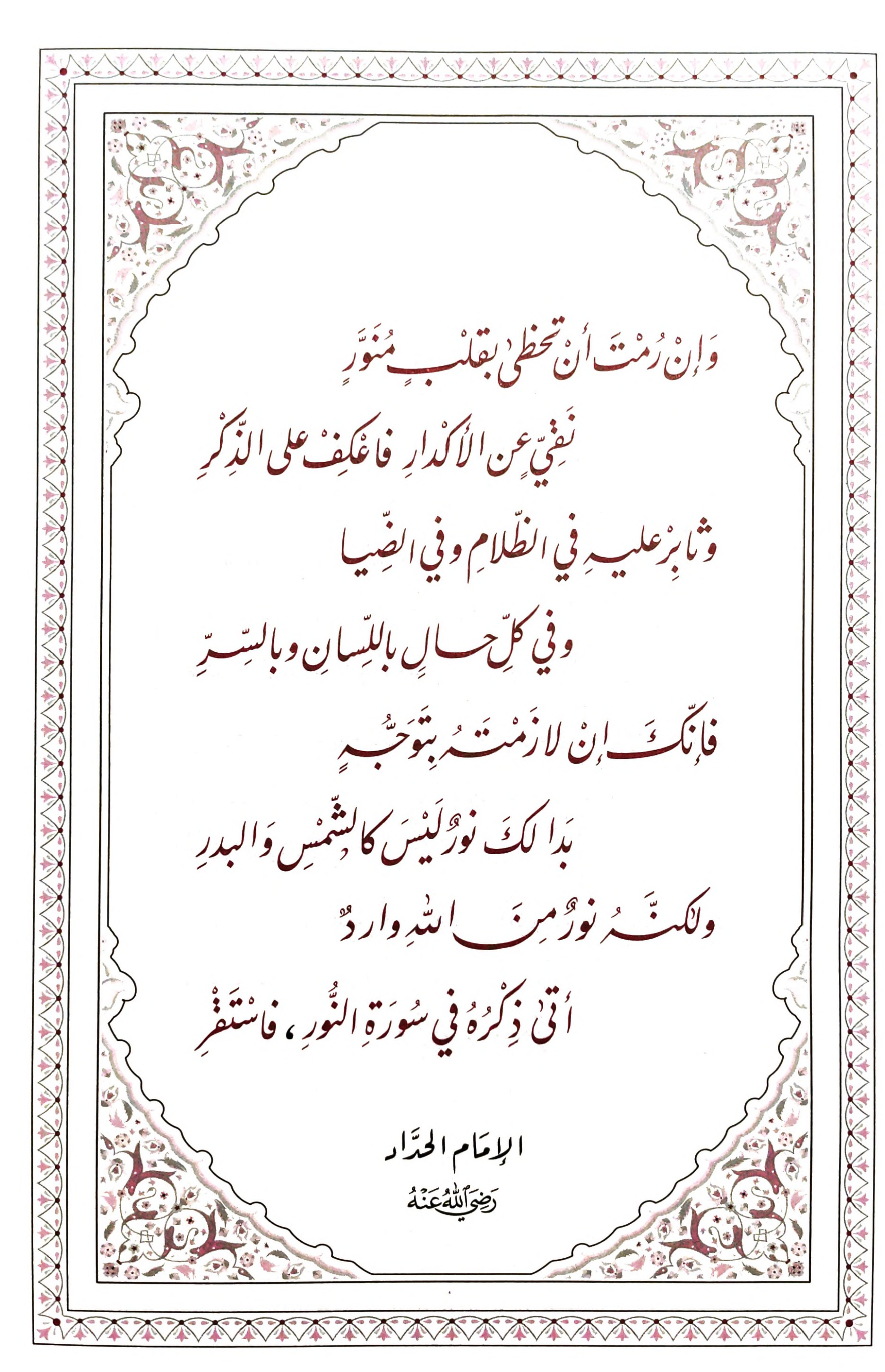
رضي الله عنه

(٤٥٠-٥٠٥هـ)

تشرفت بخدمته والعناية به

اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي





وَإِنْ رُمْتَ أَنْ تحظى بقلبٍ مُنَوَّرٍ

نَقِيٍّ عن الأكدارِ فاعْكِفْ على الذِّكْرِ

وثابِرْ عليهِ في الظّلامِ وفي الضِّيا

وفي كلِّ حالٍ باللِّسانِ وبالسِّرِّ

فإنّكَ إن لازمْتَهُ بتوجُّهٍ

بَدا لكَ نورٌ لَيْسَ كالشَّمْسِ والبدرِ

ولكنّهُ نورٌ مِنَ اللهِ واردٌ

أُتَى ذِكْرُهُ في سُورَةِ النُّورِ، فاسْتَقَرْ

الإمام الحدّاد

رضي الله عنه

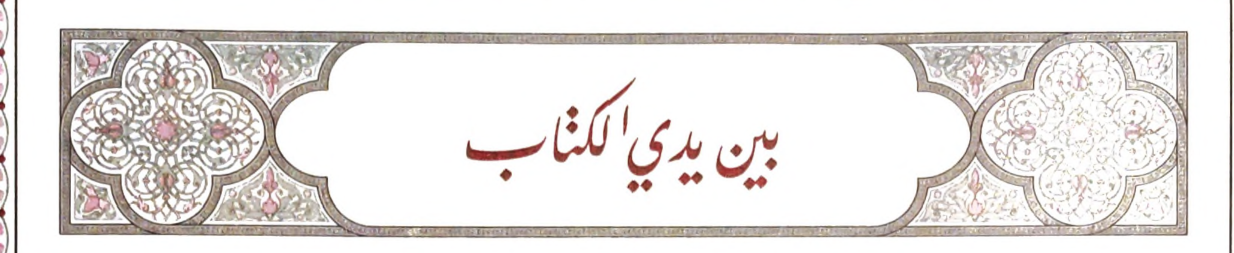
تنبيه

رأتِ الدَّارُ أنَّهُ مِنَ الأفضلِ أنْ توضَعَ في آخِرِ الكتابِ مُقدِّماتُ التَّحقيقِ وما يتعلَّقُ بها مِنْ ترجمةِ المؤلِّفِ ووصفِ المخطوطاتِ ومنهجِ العنايةِ والضَّبطِ وغيرِها ممَّا لا يُحبِّذُهُ إلَّا المُتخصِّصونَ ؛ وذٰلكَ سَيْراً علىٰ سَنَنِ مَنْ تقدَّمَنا مِنْ جيلِ النَّاشرينَ الأوائلِ .

ليتسنَّىٰ للقارئِ الكريمِ الدُّخولُ إلىٰ نصِّ الكتابِ مباشرةً دونَ أن يكونَ هناكَ ما يُرهقُهُ ، وتجنُّباً للسَّآمةِ والمَلَلِ .

راجينَ مِنَ اللهِ أن يكونَ ذٰلكَ سبباً للانتفاعِ بالكتابِ وانتشارِهِ .

والله وليّ التّوفيق



بين يدي الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله نورِ الأنوار ، ومَعْدِنِ الأسرار ، ومُدبِّرِ اللَّيل والنَّهار ، الرَّحيمِ الودودِ الغفَّارِ ، الَّذي مَنَّ علينا بنبيِّه المختار ، ونجَّانا به من ظلمات الجهلِ والشكِّ والنَّارِ ، صلواتُ ربِّي وسلاماتُه عليه كلَّما ذَكرَهُ الذَّاكرونَ ، وغَفَلَ عن ذكرِهِ الغافلونَ .

وبعد :

فإنَّ الله تعالىٰ جاد علىٰ هٰذه الأُمَّة بنبيِّ الرَّحمة صلَّى الله عليه وسلَّم ؛ هادياً بعد الضَّلال ، ونوراً بعد الظَّلام ، وخلَفَهُ من بعده وُرَّاثُه العلماءُ ؛ الَّذين قال فيهِم : « إِنَّ ٱلْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ ٱلْأَنْبِيَاءِ »[1] ، فأدَّوُا الأمانة ، ونصحوا الأُمَّة .

وكان من أَفذاذ هٰؤلاء العلماءِ وأساطينِهم حجَّةُ الإسلام والمسلمين الإمامُ الحبرُ البحرُ **محمَّدُ بنُ محمَّدٍ الغزاليُّ** رحمه الله تعالى ، الَّذي كان حصناً من حصون أهل السُّنةِ والجماعةِ ، وصخرةً كَؤُوداً تتكسَّر عندها أمواجُ أهل الضَّلالِ ، وتتلاشىٰ لديها شُبَهُ أهل

---

(١) أخرجه أبو داوود (٣٦٣٦) ، والترمذي (٢٦٨٢) ، وابن ماجه (٢٣٤) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه مطولاً .

الزَّيغِ والانحلالِ ، جنَّدَ نفسَهُ ووقتَهُ تدريساً وتصنيفاً لبيان الحقِّ من الباطل ، والهدىٰ من الضَّلال .

ولقد كتب اللهُ لمصنَّفاته الرِّضا والقَبولَ ، ونظر أهل العلم إليها بعين الاستحسان ، لما حوت من التَّحقيق والإتقان ؛ فكانت نِبراساً يهتدي بها كلُّ ضالٍّ ، ومِشكاةً يسير بنورها من أراد الوِصال ؛ **ومن جملة مصنَّفاته العظيمة كتابُنا هـٰذا** : « **مِشكاةُ الأنوار ومِصفاةُ الأسرار** » ، حيث عقدَهُ ليُقرِّر حقيقةً عِرفانيَّةً ؛ وهيَ : **أنْ لا موجود حقيقيّاً في الوجود إلَّا اللهُ تعالىٰ ، وكلُّ ما سواه وجودُهُ مجازيٌّ مُستمَدٌّ منه** .

وجعل محورَ هـٰذا الكتاب ومداره علىٰ آيةِ النُّورِ [١] ، وحديثِ الحُجُبِ [٢] ؛ حيث فسَّرَهما من حيثُ الظَّاهرُ والباطنُ ، وغاص في معانيهما ، وكشف عن أسرارِهما ورموزِهما .

وقسَّم الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله تعالى الكتابَ إلىٰ ثلاثة فصول :

الأوَّلُ : تكلَّم فيه عن معنى النُّورِ عند العامَّة والخاصَّة وخاصَّة الخاصَّة ، **ثمَّ انشعب منه إلىٰ تقسيم النُّورِ إلىٰ** : ظاهرٍ محسوسٍ ، وباطنٍ غيرِ محسوسٍ .

ثمَّ لا بدَّ لكلِّ نورٍ من آلةٍ تُبصِرُ بواسطته ؛ فعينُ الرَّأسِ تُبصِرُ

---

(١) وهي قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

(٢) وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « إن لله تعالىٰ سبعين حجاباً من نور وظلمة ، لو كشفها . . لأحرقت سُبُحات وجهِهِ كلَّ ما أدرك بصرُهُ » . انظر تخريجه في موضعه (ص ١٥) .

المحسوساتِ ، والعينُ الباطنةُ ـ وسمَّاها : عقلاً ، أو روحاً ، أو نفساً إنسانيَّةً ـ تُبصِرُ غيرَ المحسوساتِ .

وخَلَص إلىٰ أنَّ عينَ الرَّأسِ موسومةٌ بأنواعٍ مِنَ النُّقصانِ ؛ وهيَ سبع نقائصَ ، وعدَّها ، وأنَّ العينَ الباطنةَ أسمىٰ وأرقىٰ من عينِ الظَّاهرِ ، ومع ذٰلك فالعينُ الباطِنةُ لا تُدرِكُ الأشياءَ علىٰ وتيرةٍ واحدةٍ ؛ فقد تُدرِكُ بعض الأشياء إدراكاً مُباشَراً ، والبعضُ الآخرُ يحتاجُ إلىٰ مَن يُنبِّهها إليه ويَدلُّها عليه ، وأعظمُ مُنبِّه هو التَّنزيلُ الحكيمُ الَّذي هو مصدر العلم والحكمة والعرفان .

ثمَّ ترقَّىٰ للكلام عن عالَمِ المَلكوت ، وأنَّ القرآنَ نورٌ من أنواره ، وأنَّه العالَمُ العُلْويُّ الَّذي تسكنه الملائكةُ وتَعرُجُ إليه الأرواحُ ، وأنَّ عالَمَ الشَّهادةِ مُتفرِّعٌ عنه وأثرٌ من آثارِه ، وأنَّه عالَمٌ مشحونٌ بالأنوار ، وأنَّ هٰذه الأنوارَ مُرتَّبةٌ حسَبَ قربها وبعدها من منبعِ النُّورِ الأوَّلِ ، وضرب مثالَ القمرِ والمرآةِ لبيان هٰذه الحقيقة ، والإمام الغزاليُّ ـ عليه الرَّحمة والرِّضوان ـ أستاذٌ في ضرب الأمثال وتقريبِها للأذهانِ .

ثمَّ تكلَّم عنِ العارفين بالله تعالىٰ ، وكيف أنَّهم في معراجهمُ العِرفانيّ يتحقَّقون : أنْ لا موجودَ سوى الله تعالىٰ ، فيتذوَّقون معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ [٢٨/٨٨] .

ثمَّ ذكر بعض أقوالِهمُ الَّتي توهمُ الحلولَ والاتِّحادَ ـ وهم منها براءٌ ـ ، فاعتذر لهُم ، وأوَّلَ كلامَهُم .

❁ ❁ ❁

والفصلُ الثَّاني : مهَّدَ فيه الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله تعالىٰ لتفسيرِهِ آيةَ النُّورِ بمبحثَينِ ؛ **الأوَّلُ** : في طبيعة الرَّمزِ أوِ التَّمثيلِ ومنهاجِ استعمالِه ، **والثَّاني** : في درجات الأرواح البشريَّةِ ومراتبِ أنوارِها .

وينتهي إلىٰ أن ألفاظَ التَّمثيلِ الَّتي في آية النُّورِ رموزٌ لهٰذه الأرواح البشريَّةِ ، وأنَّ ما من شيءٍ في عالَمِ الشَّهادةِ إلَّا وهو مثالٌ ورمزٌ لشيءٍ من عالَمِ المَلكوتِ ، وأنَّ عالَمَ الشَّهادةِ مَرْقاةٌ إلىٰ عالَمِ الغيبِ ، ولولا ذٰلك . . لتعذَّرَت معرفتُنا بالعالَمِ العُلْويِّ ، واستحال سفرُنا إلىٰ حضرة الرُّبوبيَّةِ .

ويُقرِّرُ أنَّنا يجب أن نَعتبِرَ ألفاظَ التَّمثيلِ الواردةَ في القرآن الكريم بمثابة مفاتيحَ لأسرارِ الغيب ؛ فنُؤوِّلها كما تُؤوَّل رموزُ الأحلام .

ويُؤَكِّدُ هنا علىٰ منهج رصين مضبوط في تفسير النُّصوص ؛ فمع تأويلِنا لألفاظها لا نُهمِلُ ظواهرَها ، بل علينا أن نُعنىٰ بالظَّاهر والباطن معاً ، فالكاملُ مَنْ يجمع بين ظاهرِ المعنىٰ وباطنِه ، وهٰذا المنهجُ لا يُحكِمُه إلَّا الرَّاسخونَ .

❀ ❀ ❀

والمبحثُ الثَّاني الَّذي وضعه تمهيداً لتفسير آية النُّورِ هو : المراتبُ الرُّوحيَّةُ البشريَّةُ ، وهي عنده خمسُ مراتبَ ، وعدَّها .

ويُقرِّرُ هنا أنَّ كلَّ مرتبةٍ من هٰذه المراتب تُوازي معنىً من معاني ألفاظ التَّمثيلِ في آية النُّورِ ، وأنَّ النُّورَ الإلٰهيَّ لا يَتجلَّىٰ إلَّا في المؤمن دون غيرِه .

❁ ❁ ❁

والفصلُ الثَّالثُ : خصَّه رحمه الله تعالىٰ للحديث عن حديثِ الحُجُبِ ، وشرحَ فيه الحُجُبَ الَّتي تَستُرُ النُّورَ الإلٰهيَّ ، وتَحولُ دون معرفة الإنسان بربِّهِ سبحانَهُ وتعالىٰ .

وقسَّمَ المحجوبين إلىٰ ثلاثةِ أنواعٍ : محجوبين بالظُّلمةِ المحضةِ ، ومحجوبين بنورٍ مقرونٍ بظلمةٍ ، ومحجوبين بمحضِ النُّورِ .

وقسَّمَ كلَّ نوعٍ إلىٰ أصنافٍ وطوائفَ ، ومثَّلَ لكلٍّ بفرقةٍ ؛ مثلِ : المُلْحِدةِ ، ومَنْ شُغِلوا بأنفسهم وشهواتهم واتَّخذوا هواهم إلٰهَهُم ، وعبدةِ الأوثانِ ، وعبدةِ الكواكبِ والنُّجومِ ، والثَّنَوِيَّةِ ، وبعضِ الفرقِ الإسلاميَّةِ ؛ كالكرَّاميَّةِ وغيرِهم .

وتكلَّم عن كلِّ طائفةٍ وفرقةٍ من هٰؤلاء من حيثُ الحجابُ الَّذي حُجِبوا به عن ربِّهِم سبحانَهُ .

ثمَّ صار رحمه اللهُ تعالىٰ إلىٰ أنَّ كلَّ هٰؤلاء ما عرفوا ربَّهُم ، بل حُجِبوا عنه ، وأنَّ طائفةً واحدةً وصنفاً خاصّاً همُ الَّذين عرفوا ربَّهُم حقَّ معرفتِهِ ؛ وهمُ الواصلون كما سمَّاهُم ، يُدرِكونَ اللهَ تعالىٰ

إدراكاً خاصّاً ؛ فهم يُدرِكونَه مُقدَّساً مُنزَّهاً عن جميعِ ما وصفه به المحجوبون .

ثمَّ قسَّم هٰؤلاء الواصلين إلىٰ : خواصَّ ، وخواصِّ الخواصِّ ، وصنفٍ ثالثٍ بَدَأَهُمُ الحقُّ سبحانَهُ بمعرفتِه فغلب عليهم أوَّلاً ما غلب على الآخَرين آخِراً .

وفي الختام : فقد كان لدارِ المنهاجِ العامرةِ قَصَبُ السَّبْقِ بخدمة كتب هٰذا الإمامِ العظيمِ ، وإخراجِها للعلنِ بتحقيقٍ مُفيدٍ ، وحُلَّةٍ بهيَّةٍ ؛ فها هي اليومَ تُولي عنايتَها بهٰذا السِّفْرِ الجليلِ عنايةً تليق به وبأمثالِه من كتبِ الإمامِ الغزاليِّ رحمه اللهُ تعالىٰ ، فنَسأل اللهَ تعالىٰ أن يكون مقبولاً مرضيّاً عنده ، ورحم الله الإمام الغزاليَّ رحمةَ الأبرارِ ، وجمعنا وإيَّاه في دارِ القرارِ .

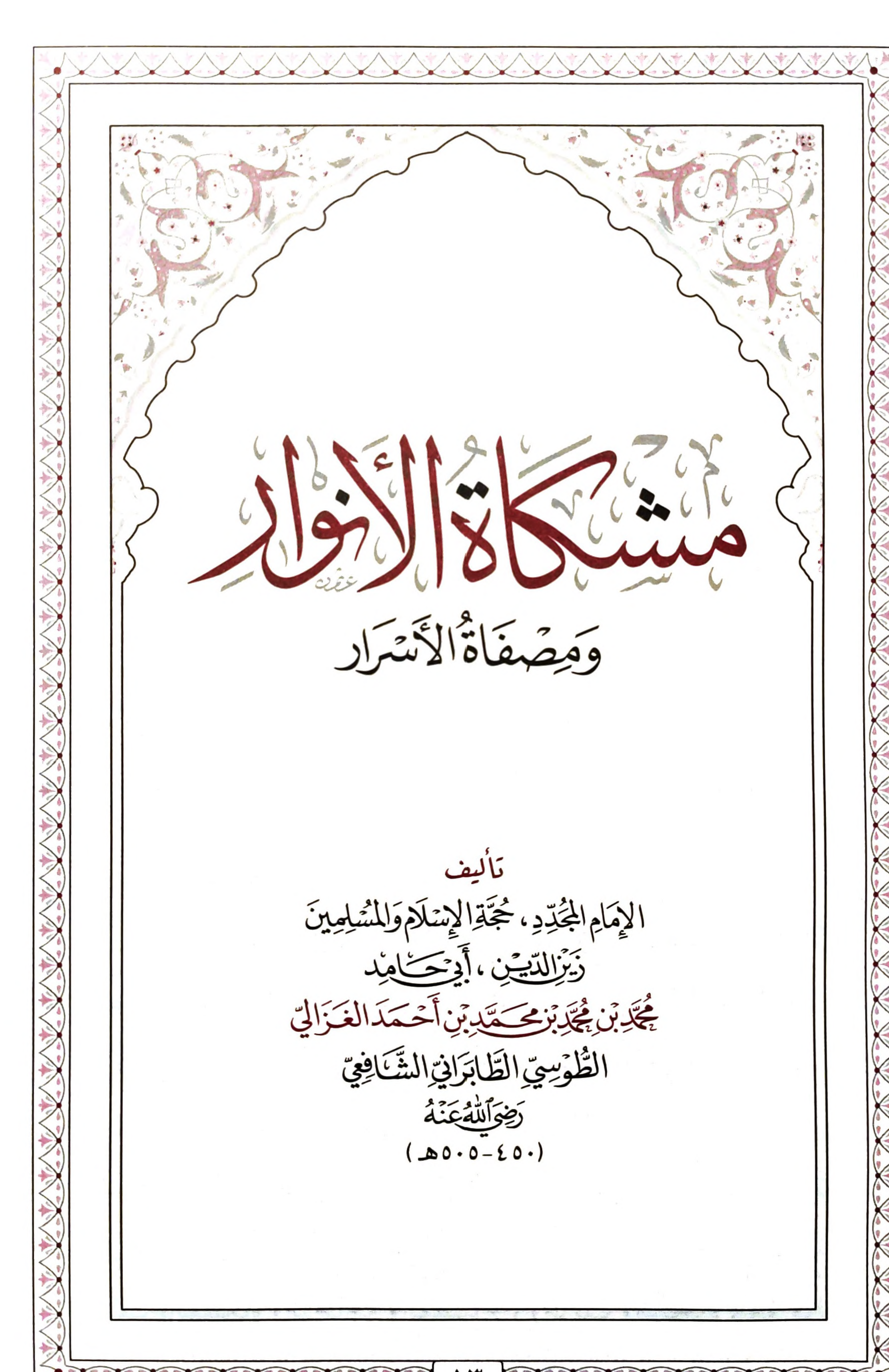


هٰذا ؛ وبعد نفاد نُسَخ الإصدار الأول من الكتاب ، وحرصاً من **دار المنهاج** علىٰ تمام العناية ومزيد الاهتمام . . أُعيد النظر في الكتاب مرة ثانية ، فوفَّق الله تعالىٰ لاستدراكات لطيفة ؛ بمنِّه وفضله ، فله الحمد في الأولىٰ والآخرة .

وصلّى الله على سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلّم

(١) ذي الحجة (١٤٤٣هـ)

الناشر



مشكاة الأنوار

ومصفاة الأسرار

تأليف

الإمام المجدد، حجة الإسلام والمسلمين

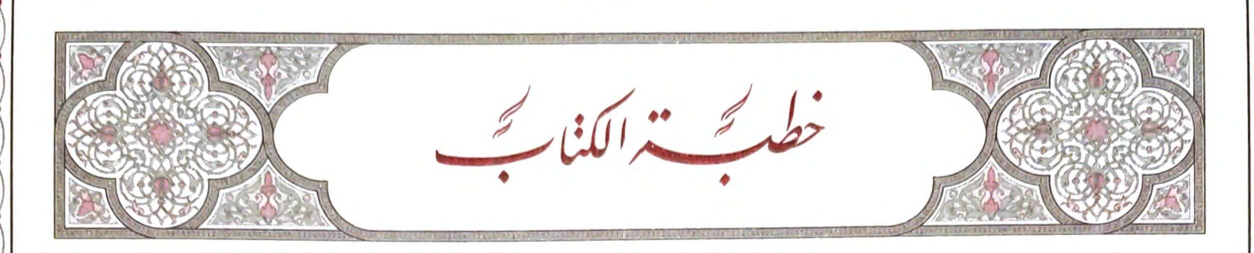
زين الدين، أبي حامد

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي

الطوسي الطابراني الشافعي

رضي الله عنه

(٤٥٠-٥٠٥هـ)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

رب يسّر

قال الإمام أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد الغزاليّ رحمه الله :

الحمدُ للهِ فائضِ الأنوارِ ، وفاتحِ الأبصارِ ، وكاشفِ الأسرارِ ، ورافعِ الأستارِ ، والصَّلاةُ علىٰ رسولِهِ محمَّدٍ نورِ الأنوارِ ، وسيِّدِ الأبرارِ ، وحبيبِ الجبَّارِ ، وبشيرِ الغفَّارِ ، ونذيرِ القهَّارِ ، وقامعِ الكُفَّارِ ، وفاضحِ الفُجَّارِ ، وعلىٰ آلِهِ وأصحابِهِ الطيِّبينَ الطَّاهرينَ الأخيارِ .

أما بعد :

فقد سألتَني ـ أيُّها الأخُ الكريمُ ، البارُّ الرَّحيمُ ، قيَّضَكَ اللهُ لطلبِ السَّعادةِ الكبرىٰ ، ورشَّحَكَ للعروجِ إلى الذِّروةِ العُليا ، وكَحلَ بنورِ الحقيقةِ بصيرتَكَ ، ونقَّىٰ عمَّا سوى الحقِّ سريرتَكَ ـ . . أن أبثَّ لكَ أسرارَ الأنوارِ الإلـٰهيَّةِ ، مقرونةً بتأويلِ ما يشيرُ إليهِ ظواهرُ الآياتِ المتلوَّةِ ، والأخبارِ المرويَّةِ ؛ مِثلُ قولِهِ تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ . . . ﴿٣٥﴾ ﴾ الآيةَ ، ومعنىٰ تمثيلِهِ ذٰلكَ بالمِشكاةِ والزُّجاجةِ والمِصباحِ ، والزَّيتِ والشَّجرةِ ، معَ قولِهِ

عليهِ السَّلامُ : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَىٰ سَبْعِينَ حِجَاباً[1] مِنْ نُورٍ وَظُلْمَةٍ ، وَإِنَّهُ لَوْ كَشَفَهَا . . لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ كُلَّ مَا أَدْرَكَ بَصَرُهُ »[2] .

ولقدِ ارتقيتَ بسؤالِكَ هٰذا مُرتقىً صعباً ، تَنخفضُ دونَ أعاليهِ أعينُ النَّاظرينَ ، وقرعتَ باباً مُغلَقاً لا يُفتَحُ إلَّا للعلماءِ الرَّاسخينَ .

ثُمَّ ليسَ كلُّ سرٍّ يُكشَفُ ويُفشَىٰ ، ولا كلُّ حقيقةٍ تُعرَضُ وتُجلَىٰ ، **بل صدورُ الأحرارِ قبورُ الأسرارِ** .

ولقد قالَ بعضُ العلماءِ العارفينَ : (إفشاءُ سرِّ الرُّبوبيَّةِ كفرٌ)[3] ، بل قالَ سيِّدُ المُرسَلينَ محمَّدٌ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ مِنَ ٱلْعِلْمِ كَهَيْئَةِ ٱلْمَكْنُونِ ، لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا ٱلْعُلَمَاءُ بِٱللهِ ، فَإِذَا نَطَقُوا بِهِ . . لَمْ يُنْكِرْهُ إِلَّا أَهْلُ ٱلْغِرَّةِ بِٱللهِ »[4] .

ومهما كثُرَ باللهِ أهلُ الاغترارِ . . وجبَ حفظُ[5] الأستارِ علىٰ وجهِ الأسرارِ .

---

(١) في (أ) : (سبعين ألف حجاب) ، وانظر (ص ٧٥) .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩) ، وابن ماجه (٢٠٧) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بلفظ : « حجابه النور » ، وأخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٨٩٨/٣) ، والكلاباذي في « بحر الفوائد » (٧٤٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو وسيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهم بلفظ : « دون الله سبعون حجاباً من نور وظلمة ، وما من نفس تسمع شيئاً من حسّ تلك الحجب إلا زهقت نفسها » ، وقوله : (**سُبُحات وجهه**) أي : نوره وجلاله وبهاؤه ، وانظر (الفصل الثالث) (ص ٧٥) من هٰذا الكتاب ؛ ففيه زيادة بيان حول هٰذا الحديث .

(٣) انظر « قوت القلوب » (٩٠/٢) .

(٤) أخرجه السلمي في « الأربعون في التصوف » (ص ٦٤) ، ومن طريقه أبو منصور الديلمي كما في « زهر الفردوس » (٨٨٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) في (ب) : (خفض) .

لـكنِّي أراكَ مُنشرِحَ الصَّدرِ بالنُّورِ ، مُنزَّهَ السِّرِّ عن ظلماتِ الغرورِ ، فلا أشحُّ عليكَ في هـٰذا الفنِّ بالإشارةِ إلىٰ لوامعَ ولوائحَ ، والرَّمزِ إلىٰ حقائقَ ودقائقَ ؛ فليسَ الخُرْقُ في كفِّ العِلمِ عن أهلِه بأقلَّ منهُ في بثِّهِ إلىٰ غيرِ أهلِهِ [1] .

فَمَنْ مَنَحَ ٱلْجُهَّالَ عِلْماً أَضَاعَهُ وَمَنْ مَنَعَ ٱلْمُسْتَوْجِبِينَ فَقَدْ ظَلَمْ [2]

فاقنَعْ بإشاراتٍ مُختصَرةٍ ، وتلويحاتٍ مُوجَزةٍ ؛ فإنَّ تحقيقَ القولِ فيهِ يستدعي تمهيدَ أُصولٍ ، وشرحَ فصولٍ ، ليسَ يَتَّسعُ الآنَ لهُ وقتي ، وليسَ ينصرفُ إليهِ همِّي وفِكري ، ومفاتيحُ القلوبِ بيدِ اللهِ جلَّ وعزَّ ، يفتحُها إذا شاءَ ، كما شاءَ ، بما شاءَ ، لمَن شاءَ .



وإنَّما الَّذي ينفتحُ في الوقتِ فصولٌ ثلاثةٌ :

---

(١) الخرق : الحماقة والسخافة .

(٢) البيت للإمام الشافعي في « ديوانه » (ص ١٢٩) ، وهو من البحر الطويل .

الفصل الأوّل

في بيان أنّ النّور الحقّ هو الله سبحانه وتعالىٰ وأنّ اسم النّور لغيره مجازٌ محضٌ لا حقيقة له

وبيانُهُ : بأن تعرفَ معنى النُّورِ بالوضعِ الأوَّلِ عندَ العوامِّ ، ثُمَّ بالوضعِ الثَّاني عندَ الخواصِّ ، ثُمَّ بالوضعِ الثَّالثِ عندَ خواصِّ الخواصِّ ، ثُمَّ تعرفَ درجاتِ الأنوارِ المذكورةَ المنسوبةَ إلىٰ خواصِّ الخواصِّ وحقائقَها ؛ لِينكشفَ لكَ عندَ ظهورِ درجاتِها : أنَّ اللهَ تعالىٰ هوَ النُّورُ الأعلى الأقصىٰ ، وعندَ انكشافِ حقائقِها : أنَّهُ النُّورُ الحقُّ الحقيقيُّ وحدَهُ لا شريكَ لهُ فيهِ .

❀ ❀ ❀

أمَّا الوضعُ الأوَّلُ عندَ العامِّيِّ . . فالنُّورُ يشيرُ إلى الظُّهورِ ، والظُّهورُ أمرٌ إضافيٌّ ؛ إذ يظهرُ الشَّيءُ لا محالةَ لإنسانٍ ، ويبطُنُ عن غيرِهِ ، فيكونُ ظاهراً بالإضافةِ ، وباطناً بالإضافةِ ، وإضافةُ ظهورِهِ إلى الإدراكاتِ لا محالةَ ، وأقوى الإدراكاتِ وأجلاها عندَ العوامِّ : الحواسُّ ؛ **ومنها** : حاسَّةُ البصرِ .

❀ ❀ ❀

والأشياءُ بالإضافةِ إلى الحسِّ البصريِّ ثلاثةُ أقسامٍ :

منها : ما لا يُبصَرُ بنفسِهِ ؛ كالأجسامِ المُظلِمةِ .

ومنها : ما يُبصَرُ بنفسِهِ ، ولٰكن لا يُبصَرُ بهِ غيرُهُ ؛ كالأجسامِ المُضيئةِ ؛ مِثلِ : الكواكبِ ، وجمرةِ النَّارِ إذا لم تكنْ مُشتعِلةً .

ومنها : ما يُبصَرُ بنفسِهِ ويُبصَرُ بهِ غيرُهُ أيضاً ؛ كالشَّمسِ والقمرِ ، والسِّراجِ والنِّيرانِ المُشتعِلةِ ، **والنُّورُ اسمٌ لهٰذا القسمِ الثَّالثِ** .

❁ ❁ ❁

ثُمَّ تارةً يُطلَقُ علىٰ : ما يفيضُ مِن هٰذهِ الأجسامِ المُشرِقةِ علىٰ ظواهرِ الأجسامِ الكثيفةِ ؛ فيُقالُ : استنارَتِ الأرضُ ، ووقعَ نورُ الشَّمسِ على الأرضِ ، ونورُ السِّراجِ على الحائطِ والثَّوبِ .

وتارةً يُطلَقُ علىٰ : نفسِ هٰذهِ الأجسامِ المُشرِقةِ ؛ لأنَّها أيضاً في أنفُسِها مُستنيرةٌ .

وعلى الجملةِ : **فالنُّورُ** : عبارةٌ عمَّا يُبصَرُ في نفسِهِ ، ويُبصَرُ بهِ غيرُهُ ؛ كالشَّمسِ ، **هٰذا حدُّهُ وحقيقتُهُ بالوضعِ الأوَّلِ** .

دقيقةٌ

[في أنَّ الرُّوحَ الباصرةَ تساوي النُّورَ الظَّاهرَ في كونِهِ ركناً للإدراكِ]

لمَّا كانَ سرُّ النُّورِ وروحُهُ هوَ الظُّهورَ للإدراكِ ، وكانَ الإدراكُ موقوفاً علىٰ وجودِ النُّورِ ، وعلىٰ وجودِ العينِ الباصرةِ أيضاً - إذِ النُّورُ هوَ الظَّاهرُ المُظهِرُ - وليسَ شيءٌ مِنَ الأنوارِ ظاهراً في حقِّ العُميانِ ولا مُظهِراً . . فقد ساوى الرُّوحُ الباصِرةُ النُّورَ الظَّاهرَ

في كونِهِ ركناً لا بدَّ منهُ لـلإدراكِ ، ثُمَّ يَرجَحُ عليهِ في أنَّ الرُّوحَ الباصرةَ هيَ المُدرِكةُ وبها الإدراكُ .

وأمَّا النُّورُ . . فليسَ بمُدرِكٍ ولا بهِ الإدراكُ ، بل عندَهُ الإدراكُ ؛ فإنَّهُ مُدرَكٌ ومُدرَكٌ بهِ ، لا مُدرِكٌ ، فهوَ مفعولٌ لا فاعلٌ ، فكانَ اسمُ النُّورِ بالرُّوحِ الباصرةِ أحقَّ منهُ بالنُّورِ المُبصَرِ عندَهُ .

فأطلقوا اسمَ النُّورِ علىٰ نورِ العينِ المُبصِرةِ ؛ **فقالوا في الخُفَّاشِ** : إنَّ نورَ عينِهِ ضعيفٌ ، **وفي الأعمشِ** : إنَّهُ ضَعُفَ نورُ بصرِهِ ، **وفي الأعمىٰ** : إنَّهُ فَقَدَ نورَ البصرِ ، **وفي السَّوادِ** : إنَّهُ يجمعُ نورَ البصرِ ويقوِّيهِ .

وإنَّ الأجفانَ إنَّما خصَّتْها الحكمةُ الإلـٰهيَّةُ بلونِ السَّوادِ ، وجَعْلِ العينِ محفوفةً بها ؛ لتجمعَ ضوءَ العينِ ، وأمَّا البياضُ . . فيفرِّقُ ضوءَ العينِ ويضعفُ نورَهُ ؛ حتَّىٰ إنَّ إدامةَ النَّظرِ إلى البياضِ المُشرِقِ ، بل إلىٰ نورِ الشَّمسِ . . تَبهَرُ نورَ العينِ وتَمحَقُهُ ؛ كما ينمحقُ الضَّعيفُ في جنبِ القويِّ .

فقد عرفتَ بهـٰذا : أنَّ الرُّوحَ الباصرةَ سُمِّيَ نوراً ، وأنَّهُ لِمَ سُمِّيَ نوراً ، وأنَّهُ لِمَ كانَ أَولىٰ بهـٰذا الاسمِ .

وهـٰذا هوَ الوضعُ الثَّاني ؛ وهوَ وضعُ الخواصِّ .

حَقِيقَةٌ

[في أنَّ نورَ بصرِ العينِ موسومٌ بأنواعٍ مِنَ النُّقصانِ]

اعلَمْ : أنَّ نورَ بصرِ العينِ موسومٌ بأنواعٍ مِنَ النُّقصانِ ؛ فإنَّهُ

يبصرُ غيرَهُ ولا يبصرُ نفسَهُ ، ولا يبصرُ ما بَعُدَ منهُ ولا ما قَرُبَ منهُ قُرباً مُفرِطاً ، ولا يبصرُ ما هوَ وراءَ حجابٍ ، ويبصرُ مِنَ الأشياءِ ظاهرَها دونَ باطنِها ، ويبصرُ مِنَ الموجوداتِ بعضَها دونَ كلِّها ، ويبصرُ أشياءَ متناهيةً ، ولا يبصرُ ما لا نهايةَ لهُ .

ويغلطُ كثيراً في إبصارِهِ ؛ فيَرى الكبيرَ صغيراً ، والبعيدَ قريباً ، والسَّاكنَ مُتحرِّكاً ، والمُتحرِّكَ ساكناً .

فهٰذهِ سبعُ نقائصَ لا تفارقُ العينَ الظَّاهرةَ .

فإن كانَ في الأعيُنِ عينٌ مُنزَّهةٌ عن هٰذهِ النَّقائصِ كلِّها .. فليتَ شِعري : هل هوَ أَولىٰ باسمِ النُّورِ أم لا ؟!

❀ ❀ ❀

فاعلمْ : أنَّ في قلبِ الإنسانِ عيناً هٰذهِ صفةُ كمالِها ؛ وهيَ الَّتي يُعبَّرُ عنها تارةً **بالعقلِ** ، وتارةً **بالرُّوحِ** ، وتارةً **بالنَّفْسِ الإنسانيِّ** .

ودعْ عنكَ هٰذهِ العباراتِ ؛ فإنَّها إذا كَثُرَتْ .. أوهمَتْ عندَ ضعيفِ البصيرةِ كثرةَ المعاني ؛ فنعني بهِ : المعنى الَّذي يتميَّزُ بهِ العاقلُ عنِ الطِّفلِ الرَّضيعِ ، وعنِ البهيمةِ ، وعنِ المجنونِ ، ولْنسمِّهِ عقلاً ؛ متابعةً للجمهورِ في الاصطلاحِ ، **فنقولُ** : العقلُ أَولىٰ بأن يُسمَّىٰ نوراً مِنَ العينِ الظَّاهرةِ ؛ لرفعةِ قدرِهِ عنِ النَّقائصِ السَّبعِ :

أمَّا الأوَّلُ[1] : فهوَ أنَّ العينَ لا تبصرُ نفسَها ، والعقلُ يدركُ غيرَهُ ، ويدركُ نفسَهُ ، ويدركُ صفاتِ نفسِهِ ؛ إذ يدركُ نفسَهُ عالماً

---

(١) أي : النقص الأول .

وقادراً ، ويدركُ عِلمَ نفْسِهِ ، ويدركُ عِلمَهُ بعِلمِ نفسِهِ ، وعِلمَهُ بعِلمِهِ بعِلمِ نفسِهِ إلىٰ غيرِ نهايةٍ ، وهـٰذهِ خاصِّيَّةٌ لا تُتصوَّرُ لِما يُدرَكُ بآلةِ الأجسامِ ، ووراءَهُ سرٌّ يطولُ شرحُهُ .

❀ ❀ ❀

والثَّاني : أنَّ العينَ لا تبصرُ ما بَعُدَ منها ولا ما قَرُبَ منها قُرباً مُفرِطاً ، والعقلُ يستوي عندَهُ القريبُ والبعيدُ ؛ يعرُجُ في طرفةٍ إلىٰ أعلى السَّماواتِ رُقِيّاً ، وينزلُ في لحظةٍ إلىٰ تخومِ الأرضينَ هُوِيّاً ، بل إذا حَقَّتِ الحقائقُ . . انكشفَ أنَّهُ مُنزَّهٌ عن أن تحومَ بجنَباتِ قُدْسِهِ معاني القُربِ والبُعدِ الَّذي يُفرَضُ بينَ الأجسامِ ؛ فإنَّهُ أُنْموذَجٌ مِن نورِ اللهِ تعالىٰ ، ولا يخلو الأُنْموذَجُ عن محاكاةٍ وإن كانَ لا يترقَّىٰ إلىٰ ذِروةِ المساواةِ .

وهـٰذا ربَّما هزَّكَ للتَّفطُّنِ لسرِّ قولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ »[1] ، فلستُ أرى الآنَ الخوضَ في بيانِهِ[2] .

❀ ❀ ❀

الثَّالثُ : أنَّ العينَ لا تدركُ ما وراءَ الحُجُبِ ، والعقلُ يتصرَّفُ في العرشِ والكرسيِّ ، وما وراءَ حُجُبِ السَّماواتِ ، وفي الملأ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٢٧) ، ومسلم (٢٨٤١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) بيَّن الإمام الغزالي رحمه الله تعالى الكلام علىٰ هـٰذا الحديث في كتابه العظيم « إحياء علوم الدين » فعقد فصلاً في بيان المراد منه . انظر « إحياء علوم الدين » (المقدمات/٣٢١ ـ ٣٢٨) ، وانظر (ص ٤٣ ـ ٤٤) وما بعدها من هـٰذا الكتاب ؛ ففيها زيادة بيان وتوضيح .

الأعلىٰ والملكوتِ الأسنىٰ ؛ كتصرُّفِهِ في عالَمِهِ الخاصِّ ، ومملكتِهِ القريبةِ ؛ أَعني : بدنَهُ الخاصَّ ، بلِ الحقائقُ كلُّها لا تحتجِبُ عنِ العقلِ ، وإنَّما حجابُ العقلِ حيثُ يُحجَبُ عن نفسِهِ لنفسِهِ ؛ بسببِ صفاتٍ هيَ مقارنةٌ لهُ تضاهي حجابَ العينِ مِن نفسِهِ عندَ تغميضِ الأجفانِ ، **وستعرفُ هٰذا في (الفصلِ الثَّالثِ) مِن هٰذا الكتابِ إن شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ**[1] .

❁ ❁ ❁

الرَّابعُ : أنَّ العينَ تدركُ مِنَ الأشياءِ ظاهرَها وسطحَها الأعلىٰ دونَ باطنِها ، بل قوالبَها وصُوَرَها دونَ حقائقِها ، والعقلُ يتغلغلُ إلىٰ بواطنِ الأشياءِ وأسرارِها ، ويدركُ حقائقَها وأرواحَها ، ويستنبطُ سببَها وعلَّتَها ، وغايتَها وحكمتَها ، وأنَّها مِمَّ خُلِقَتْ ، وكيفَ خُلِقَتْ ، ولِمَ خُلِقَتْ ، ومِن كم معنىً جُمِعَ الشَّيءُ ورُكِّبَ ، وعلىٰ أيِّ مرتبةٍ في الوجودِ نُزِّلَ ، وما نِسبتُهُ إلىٰ خالقِهِ ، وما نِسبتُهُ إلىٰ سائرِ مخلوقاتِهِ . . . **إلىٰ مباحثَ أُخَرَ يطولُ ذِكرُها وشرحُها ، ونرى الإيجازَ فيها أَولىٰ** .

❁ ❁ ❁

الخامسُ : أنَّ العينَ تبصرُ بعضَ الموجوداتِ ؛ إذ تَقصُرُ عن جميعِ المعقولاتِ ، وعن كثيرٍ مِنَ المحسوساتِ ؛ إذ لا تدركُ الأصواتَ والرَّوائحَ والطُّعومَ ، والحرارةَ والبرودةَ والقُوى المُدرِكةَ

---

(١) انظر (ص ٧٥) .

ـ أعني : قوّةَ السَّمعِ والبصرِ والشَّمِّ والذَّوقِ ـ بلِ الصِّفاتِ الباطنةَ النَّفسانيَّةَ ؛ كالفرحِ والسُّرورِ ، والغمِّ والحُزنِ ، والألمِ واللَّذَّةِ ، والعشقِ والشَّهوةِ ، والقدرةِ والإرادةِ والعِلمِ . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِن موجوداتٍ لا تُحصىٰ ولا تُعَدُّ ، فهوَ ضيّقُ المجالِ ، مُختصَرُ المَجرىٰ ، لا يسعُهُ مجاوزةُ عالَمِ الألوانِ والأشكالِ وهما أخسُّ الموجوداتِ ؛ فإنَّ الأجسامَ في أصلِها أخسُّ أقسامِ الموجوداتِ ، والألوانُ والأشكالُ مِن أخسِّ أعراضِها .

والموجوداتُ كلُّها مجالُ العقلِ ؛ إذ يدركُ هٰذهِ الموجوداتِ الَّتي عدَّدْناها وما لم نعدَّها ، وهوَ الأكثرُ ، فيتصرَّفُ في جميعِها ، ويَحكُمُ عليها حُكماً يقينيّاً صادقاً .

فالأسرارُ الباطنةُ عندَهُ ظاهرةٌ ، والمعاني الخفيَّةُ عندَهُ جليَّةٌ ، فمِن أينَ للعينِ الظَّاهرةِ مساواتُهُ ومجاراتُهُ في استحقاقِ اسمِ النُّورِ ؟!

كلَّا ؛ إنَّها نورٌ بالإضافةِ إلىٰ غيرِهِ ، لٰكنَّها ظلمةٌ بالإضافةِ إليهِ ، بل هيَ جاسوسٌ مِن جواسيسِهِ ، وكَّلَهُ بأخسِّ خزائنِهِ ؛ وهيَ خزانةُ الألوانِ والأشكالِ ، ليرفعَ إلىٰ حضرتِهِ أخبارَها ، فيقضيَ فيها بما يقتضيهِ رأيُهُ الثَّاقبُ ، وحكمُهُ النَّافذُ .

والحواسُّ الخمسُ جواسيسُهُ ، ولهُ في الباطنِ جواسيسُ سواها ؛ مِن خيالٍ ووَهَمٍ ، وفكرٍ وذِكْرٍ وحفظٍ ، ووراءَهُم خدمٌ وجيوشٌ وجنودٌ مُسَخَّرةٌ لهُ في عالَمِهِ الخاصِّ ، يستسخرُهُم ويتصرَّفُ فيهِمُ

استسخارَ المَلِكِ عبيدَهُ بل أشدَّ ، **وشرحُ ذٰلكَ يطولُ** ، **وقد ذكرْناهُ في (كتابِ عجائبِ القلبِ) مِن كتبِ « إحياءِ علومِ الدِّينِ »**[1] .

❁ ❁ ❁

السَّادسُ : أنَّ العينَ لا تبصرُ ما لا نهايةَ لهُ ؛ فإنَّها تبصرُ صفاتِ الأجسامِ ، والأجسامُ لا تُتصوَّرُ إلَّا متناهيةً ، والعقلُ يدركُ المعلوماتِ ، والمعلوماتُ لا يُتصوَّرُ أن تكونَ متناهيةً .

نعم ؛ إذا لاحظَ العلومَ المُفصَّلةَ . . فلا يكونُ الحاضرُ الحاصلُ منهُ إلَّا متناهياً ، لٰكن في قوَّتِهِ إدراكُ ما لا نهايةَ لهُ ، **وشرحُ ذٰلكَ يطولُ** .

فإن أردتَ لهُ مثالاً . . فخذْهُ مِنَ الجليَّاتِ ؛ فإنَّهُ يدركُ الأعدادَ ولا نهايةَ لها ، بل يدركُ تضعيفاتِ الاثنَينِ والثَّلاثةِ وسائرِ الأعدادِ ولا يُتصوَّرُ لها نهايةٌ ، ويدركُ أنواعاً مِنَ النِّسَبِ بينَ الأعدادِ ولا يُتصوَّرُ التَّناهي عليها ، بل يدركُ عِلمَهُ بالشَّيءِ ، وعِلمَهُ بعِلمِهِ بالشَّيءِ ، وعِلمَهُ بعِلمِهِ بعِلمِهِ بالشَّيءِ ، فقُوَّتُهُ في هٰذا الواحدِ أيضاً لا تقفُ عندَ نهايةٍ .

❁ ❁ ❁

السَّابعُ : أنَّ العينَ تبصرُ الكبيرَ صغيراً ؛ فترى الشَّمسَ في مِقدارِ مِجَنٍّ[2] ، والكواكبَ في صورِ دنانيرَ منثورةٍ علىٰ بساطٍ

---

(١) إحياء علوم الدين (٥/٢١ ـ ٢٥) .

(٢) **المِجنُّ** : التُّرس .

أزرقَ ، والعقلُ يدركُ أنَّ الكواكبَ والشَّمسَ أكبرُ مِنَ الأرضِ أضعافاً مضاعفةً .

وترى الكواكبَ ساكنةً ، بل ترى الظِّلَّ بينَ يدَيهِ ساكناً ، وترى الصَّبيَّ ساكناً في مِقدارِهِ ، والعقلُ يدركُ أنَّ الصَّبيَّ مُتحرِّكٌ في النُّشوءِ والتَّزايدِ على الدَّوامِ ، والظِّلَّ مُتحرِّكٌ دائماً ، والكواكبَ تتحرَّكُ في كلِّ لحظةٍ أميالاً كثيرةً ؛ كما قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ لجبريلَ عليهِ السَّلامُ : « أَزَالَتِ ٱلشَّمْسُ ؟ » فَقَالَ : لَا ، نَعَمْ ، فقالَ عليهِ السَّلامُ : « كَيْفَ ؟! » قَالَ : مُنْذُ قُلْتُ : (لَا) إِلَىٰ أَنْ قُلْتُ : (نَعَمْ) قَدْ تَحَرَّكَتْ مَسِيرَةَ خَمْسِ مِئَةِ سَنَةٍ[1] .

وأنواعُ غلطِ البصرِ كثيرةٌ ، والعقلُ مُنزَّهٌ عنهُ .

❀ ❀ ❀

فإن قلتَ : ترى العقلاءَ يغلطونَ في نظرِهِم .

فاعلمْ : أنَّ فيهِم خيالاتٍ وأوهاماً واعتقاداتٍ يظنُّونَ أحكامَها أحكامَ العقلِ ، فالغلطُ منسوبٌ إليها ، وقد شرحْنا مجامعَها في كتابِ « مِعيارِ العلمِ » ، وكتابِ « مِحَكِّ النَّظرِ »[2] .

فأمَّا العقلُ ؛ إذا تجرَّدَ عن غَشاوةِ الوَهَمِ والخيالِ . . لم يُتصوَّرْ أن يغلطَ ، بل رأى الأشياءَ علىٰ ما هيَ عليهِ ، **وفي تجريدِهِ عُسرٌ**

---

(١) أورده أبو طالب المكي في « قوت القلوب » (٢٥/١) وفيه : (قطعت في الفلك خمسين ألف فرسخ) ، وقال العراقي في « المغني عن حمل الأسفار » (١١٩٦/٢) : (لم أجد له أصلاً) .

(٢) معيار العلم (ص ٢٦٩ ـ ٢٨٢) ، محك النظر (ص ١٦١ ـ ١٧٧) .

عظيمٌ ، وإنَّما يكمُلُ تجرُّدُهُ عن هٰذهِ النَّوازعِ بعدَ الموتِ ، وعندَ ذٰلكَ ينكشفُ الغطاءُ ، وتتجلَّى الأسرارُ ، ويصادفُ كلُّ أحدٍ ما قدَّمَ مِن خيرٍ أو شرٍّ مُحضَراً ، ويشاهدُ كتاباً لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلَّا أحصاها ، وعندَهُ يُقالُ لهُ : ﴿ فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ ، وإنَّما الغطاءُ غطاءُ الخيالِ والوَهَمِ وغيرِهِما ، وعندَهُ يقولُ المغرورُ بأوهامِهِ الكاذبةِ ، واعتقاداتِهِ الفاسدةِ ، وخيالاتِهِ الباطلةِ : ﴿ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا . . . ﴾ الآيةَ .

فقد عرفتَ بهٰذا أنَّ العينَ أَولىٰ باسمِ النُّورِ مِنَ النُّورِ المعروفِ ، ثُمَّ عرفتَ أنَّ العقلَ أَولىٰ باسمِ النُّورِ مِنَ العينِ ، بل بينَهُما مِنَ التَّفاوتِ ما يَقبُحُ معَهُ أن يُقالَ : إنَّهُ أَولىٰ ، **بلِ الحقُّ** : **أنَّهُ المُستحِقُّ للاسمِ دونَهُ** .

دقيقة

[في أنَّهُ ليسَ كلُّ المُبصَراتِ عندَ العقولِ علىٰ وتيرةٍ واحدةٍ]

اعلمْ : أنَّ العقولَ وإن كانَتْ مُبصِرةً . . فليسَتِ المُبصَراتُ كلُّها عندَها علىٰ وتيرةٍ واحدةٍ ، بل بعضُها يكونُ عندَها كأنَّها حاضرةٌ كالعلومِ الضَّروريَّةِ ؛ مِثلُ عِلمِهِ بأنَّ الشَّيءَ الواحدَ لا يكونُ قديماً حادثاً ، ولا يكونُ موجوداً معدوماً ، والقولَ الواحدَ لا يكونُ صدقاً وكذباً ، وأنَّ الحُكْمَ إذا ثبتَ للشَّيءِ جوازُهُ . . ثبتَ لِمثلِهِ ، وأنَّ الأخصَّ إذا كانَ موجوداً . . كانَ الأعمُّ واجبَ الوجودِ ؛ فإذا وُجِدَ

السَّوادُ . . فقد وُجِدَ اللَّونُ ، وإذا وُجِدَ الإنسانُ . . فقد وُجِدَ الحيوانُ ، وأمَّا عكسُهُ . . فلا يلزمُ في العقلِ ؛ إذ لا يلزمُ مِن وجودِ اللَّونِ وجودُ السَّوادِ ، ولا مِن وجودِ الحيوانِ وجودُ الإنسانِ ، إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ القضايا الضَّروريَّةِ ؛ في الواجباتِ ، والجائزاتِ ، والمستحيلاتِ .

ومنها(١) : ما لا يقارنُ العقلَ في كلِّ حالٍ إذا عُرِضَ عليهِ ، بل يحتاجُ إلىٰ أن يُهَزَّ أعطافُهُ ، ويُستَورىٰ زنادُهُ ، ويُنبَّهَ عليهِ بالتَّنبيهِ ؛ كالنَّظريَّاتِ ، وإنَّما يُنبِّهُهُ كلامُ الحكمةِ ، فعندَ إشراقِ نورِ الحكمةِ يصيرُ العقلُ مُبصِراً بالفعلِ بعدَ أن كانَ مُبصِراً بالقوَّةِ .

وأعظمُ الحِكَمِ كلامُ اللهِ جلَّ جلالُهُ ؛ ومِن جملةِ كلامِهِ : **القرآنُ خاصَّةً** ، فتكونُ مَنزِلةُ آياتِ القرآنِ عندَ عينِ العقلِ مَنزِلةَ نورِ عينِ الشَّمسِ عندَ العينِ الظَّاهرةِ ؛ إذ بهِ يَتِمُّ الإبصارُ ، فبالحريِّ أن يُسمَّى القرآنُ : نوراً ؛ كما سُمِّيَ نورُ الشَّمسِ نوراً .

فمثالُ القرآنِ : نورُ الشَّمسِ ، **ومثالُ العقلِ** : نورُ العينِ ؛ فكما أنَّ العينَ إنَّما تدركُ الأشياءَ الظَّاهرةَ بالشَّمسِ ، ولا بدَّ منهُ في الإدراكِ . . فكذٰلكَ العقلُ إنَّما يدركُ المعقولاتِ والحقائقَ الباطنةَ بالقرآنِ ؛ لِمَا فيهِ مِنَ الحكمةِ ، وبهٰذا يُفهَمُ معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَا ﴾ [٦٤/٨] ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾ [٥/١٥] ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴾ [٤/١٧٤] .

---

(١) أي : من المُبْصَرات .

تكملة لهذه الدقيقة

[في أنَّ العينَ عينانِ ؛ ظاهرةٌ ، وباطنةٌ]

فقد فهمتَ مِن هـٰذا : أنَّ العينَ عينانِ ؛ ظاهرةٌ ، وباطنةٌ .

الظَّاهرةُ مِن عالَمِ الحسِّ والشَّهادةِ ، **والباطنةُ** مِن عالَمٍ آخرَ ؛ وهوَ عالَمُ الغيبِ والملكوتِ .

ولكلِّ عينٍ مِنَ العينَينِ شمسٌ ونورٌ عندَهُ تصيرُ كاملةَ الإبصارِ ؛ إحداهُما ظاهرةٌ ، والأُخرىٰ باطنةٌ ، والظَّاهرةُ مِن عالَمِ الشَّهادةِ ؛ وهيَ الشَّمسُ المحسوسةُ ، والباطنةُ مِن عالَمِ الملكوتِ ؛ وهيَ القرآنُ ، وكتبُ اللهِ تعالى المُنزَلةُ .

ومهما انكشفَتْ لكَ هـٰذهِ الأسرارُ الدَّقيقةُ انكشافاً تامّاً . . **فقدِ انفتحَ لكَ أوَّلُ بابٍ مِن أبوابِ الملكوتِ** .

وفي هـٰذا العالَمِ عجائبُ يُستحقَرُ بالإضافةِ إليها عالَمُ الشَّهادةِ ، ومَن لم يسافرْ إلىٰ هـٰذا العالَمِ ، وقعدَ بِهِ القصورُ في حضيضِ عالَمِ الشَّهادةِ . . فهوَ بهيمةٌ بَعْدُ ، محرومٌ عن خاصِّيَّةِ الإنسانيَّةِ ، بل مِنَ البهيمةِ أضلُّ ؛ إذ لم يَستعِدَّ البهيمةُ بأجنحةِ الطَّيرانِ إلىٰ هـٰذا العالَمِ ؛ ولذلكَ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ ﴾ [٧/١٧٩] .

❁ ❁ ❁

واعلمْ : أنَّ الشَّهادةَ بالإضافةِ إلىٰ عالَمِ الملكوتِ كالقشرِ بالإضافةِ إلى اللُّبِّ ، وكالصُّورةِ والقالَبِ بالإضافةِ إلى الرُّوحِ ،

وكالظُّلمةِ بالإضافةِ إلى النُّورِ ، وكالسُّفْلِ بالإضافةِ إلى العُلْوِ ؛ فلذٰلكَ يُسمَّىٰ عالَمُ الملكوتِ : **العالَمَ العُلْويَّ** ، **والعالَمَ الرُّوحانيَّ** ، **والعالَمَ النُّورانيَّ** ، وفي مُقابَلتِهِ : **العالَمُ السُّفْليُّ** ، **والجسمانيُّ** ، **والظُّلمانيُّ** .

ولا تظُنَّنَّ أنَّا نعني بالعالَمِ العُلْويِّ السَّماواتِ ؛ فإنَّها عُلْوٌ وفوقٌ في حقِّ عالَمِ الشَّهادةِ والحسِّ ، وتشاركُ في إدراكِهِ البهائمُ .

وأمَّا العبدُ . . فلا يُفتَحُ لهُ بابُ الملكوتِ ، ولا يصيرُ ملكوتيّاً إلَّا وتُبدَلُ في حقِّهِ الأرضُ غيرَ الأرضِ والسَّماواتُ ، فيصيرُ كلُّ ما دخلَ تحتَ الحسِّ والخيالِ أرضَهُ ؛ ومِن جملتِهِ السَّماواتُ ، وكلُّ ما ارتفعَ عنِ الحسِّ والخيالِ منها سماءَهُ .

وهٰذا هوَ المِعراجُ الأوَّلُ لكلِّ سالكٍ ابتدأَ سفرَهُ إلىٰ قُرْبِ الحضرةِ الرُّبوبيَّةِ .

فالإنسانُ مردودٌ إلىٰ أسفلِ السَّافلينَ ، ومنهُ يترقَّىٰ إلى العالَمِ الأعلىٰ .

وأمَّا الملائكةُ . . فإنَّهُم مِن جملةِ عالَمِ الملكوتِ ، عاكفونَ في حظيرةِ القُدْسِ ، ومنها يشرفونَ إلى العالَمِ الأسفلِ ؛ ولذٰلكَ قالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « إِنَّ ٱللهَ خَلَقَ ٱلْخَلْقَ فِي ظُلْمَةٍ ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ »(١) ، وقالَ عليهِ السَّلامُ : « إِنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً هُمْ أَعْلَمُ بِأَعْمَالِ ٱلْعِبَادِ مِنْهُمْ »(٢) .

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤٢) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما بنحوه .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في « العظمة » (٥٠٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

والأنبياءُ إذا بلغَ مِعراجُهُمُ المَبلَغَ الأقصىٰ ، وأشرفوا منهُ إلى السُّفْلِ ، ونظروا مِن فوقٍ إلىٰ تحتٍ . . اطَّلعوا أيضاً علىٰ قلوبِ العبادِ ، وأشرفوا منها علىٰ جملةٍ مِن علومِ الغيبِ ؛ إذ مَن كانَ في عالَمِ الملكوتِ . . كانَ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وعندَهُ مفاتحُ الغيبِ ؛ أي : مِن عندِهِ تنزلُ أسبابُ الموجوداتِ في عالَمِ الشَّهادةِ ؛ إذ عالَمُ الشَّهادةِ أثرٌ مِن آثارِ ذٰلكَ العالَمِ ، يجري منهُ مَجرى الظِّلِّ بالإضافةِ إلى الشَّخصِ ، ومَجرى الثَّمرةِ بالإضافةِ إلى المُثمِرةِ ، والمُسبَّبِ بالإضافةِ إلى السَّببِ .

ومفاتيحُ معرفةِ المُسبَّباتِ لا توجدُ إلَّا مِنَ الأسبابِ ؛ ولذٰلكَ كانَ عالَمُ الشَّهادةِ مثالاً لعالَمِ الملكوتِ ؛ كما سيأتي في بيانِ المِشكاةِ والمِصباحِ والشَّجرةِ إن شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ [1] ؛ لأنَّ المُسبَّبَ لا يخلو عن مُوازاةِ السَّببِ ومُحاكاتِهِ نوعاً مِنَ المُحاكاةِ علىٰ قُرْبٍ أو علىٰ بُعْدٍ ؛ وهٰذا لأنَّ لهُ غوراً عميقاً ، **ومَنِ اطَّلعَ علىٰ كُنْهِ عميقِ حقيقتِهِ . . انكشفَ لهُ حقائقُ أمثلةِ القرآنِ علىٰ يُسْرٍ .**

دقيقة

تَرجِعُ إلىٰ حقيقةِ النُّورِ

فنقولُ : إن كانَ ما يبصرُ نفسَهُ وغيرَهُ أَولىٰ باسمِ النُّورِ ؛ فإن كانَ مِن جملتِهِ ما يبصرُ غيرَهُ أيضاً معَ أنَّهُ يبصرُ نفسَهُ وغيرَهُ . . فهوَ

---

(١) انظر ما سيأتي (ص ٦٩) .

أَولىٰ باسمِ النُّورِ مِنَ الَّذي لا يؤثِّرُ في غيرِهِ أصلاً ، بل بالحريِّ أن يُسمَّىٰ : سراجاً مُنيراً ؛ لفيضانِ أنوارِهِ علىٰ غيرِهِ .

وهـٰذهِ الخاصِّيَّةُ توجدُ للرُّوحِ القُدْسيِّ النَّبويِّ ؛ إذ تفيضُ بواسطتِهِ أنوارُ المعارفِ على الخلائقِ ، وبهـٰذا تفهمُ معنىٰ تسميةِ اللهِ تعالىٰ محمَّداً صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : **سراجاً مُنيراً** .

والأنبياءُ كلُّهُم سُرُجٌ ، وكذا العلماءُ ، ولـٰكنَّ التَّفاوتَ بينَهُم لا يُحصىٰ .

دقيقة

[في أنَّ الَّذي يُقتبسُ منهُ السِّراجُ في نفسِهِ جديرٌ باسمِ النَّارِ]

إذا كانَ اللَّائقُ بالَّذي يُستفادُ منهُ أنوارُ الأبصارِ أن يُسمَّىٰ سراجاً مُنيراً . . فالَّذي يُقتبَسُ منهُ السِّراجُ في نفسِهِ جديرٌ بأن يُكنىٰ عنهُ بالنَّارِ .

وهـٰذهِ السُّرُجُ الأرضيَّةُ إنَّما تقتبسُ في أصلِها مِن أنوارٍ عُلْويَّةٍ ، والرُّوحُ القُدْسيُّ النَّبويُّ يَكادُ زيتُهُ يضيءُ ولو لم تمسسْهُ نارٌ ، ولـٰكن إنَّما يَصيرُ نوراً علىٰ نورٍ إذا مسَّتْهُ النَّارُ .

وبالحريِّ أن يكونَ مُقتبَسُ الأرواحِ الأرضيَّةِ هيَ الرُّوحَ الإلـٰهيَّةَ العُلْويَّةَ ، الَّتي وصفَها عليٌّ وابنُ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنهُم ، فقالا في الرُّوحِ المذكورِ في قولِهِ تعالىٰ : ﴿ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ﴾ [٧٨ / ٣٨] : (إنَّ للهِ مَلَكاً لهُ سبعونَ ألفَ رأسٍ ، في كلِّ رأسٍ سبعونَ ألفَ

وجهٍ ، في كلِّ وجهٍ سبعونَ ألفَ فمٍ ، في كلِّ فمٍ سبعونَ ألفَ لسانٍ ، يُسبّحُ اللهَ تعالىٰ كلُّ واحدٍ منهُم بلغةٍ غيرِ لغةِ الآخرِ)[1] ، وهوَ الّذي قُوبِلَ بالملائكةِ كلِّهِم ، فقيلَ يومَ القيامةِ : ﴿ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗا ﴾ .

فهيَ إذا اعتُبِرَتْ مِن حيثُ يَقتبِسُ منها السُّرُجُ الأرضيَّةُ . . لم يكنْ لها مثالٌ إلَّا النَّارُ ، وذٰلكَ لا يُؤنَسُ إلَّا مِن جانبِ الطُّورِ .

دقيقة

[في أنَّ أقربَ الأنوارِ السَّماويَّةِ مِنَ المَنبَعِ . . أولىٰ باسمِ النُّورِ]

الأنوارُ السَّماويَّةُ الَّتي منها تَقتبِسُ الأنوارُ الأرضيَّةُ ؛ إن كانَ لها ترتيبٌ بحيثُ يَقتبِسُ بعضُها مِن بعضٍ . . فالأقربُ مِنَ المَنبَعِ الأوَّلِ أَولىٰ باسمِ النُّورِ ؛ لأنَّهُ أعلىٰ رتبةً ، ومثالُ ترتيبِهِ في عالَمِ الشَّهادةِ لا تدركُهُ إلَّا بأن تَفرِضَ ضوءَ القمرِ داخلاً في كَوَّةِ بيتٍ ، واقعاً علىٰ مرآةٍ منصوبةٍ علىٰ حائطٍ ، ومُنعكِساً منها إلىٰ حائطٍ آخَرَ في مُقابَلتِها ، ثُمَّ مُنعطِفاً منهُ إلى الأرضِ ؛ بحيثُ تستنيرُ الأرضُ .

فأنتَ تعلمُ : أنَّ ما على الأرضِ مِنَ النُّورِ تابعٌ لِمَا على الحائطِ ، وما على الحائطِ تابعٌ لِمَا على المرآةِ ، وما على المرآةِ

---

(1) أخرج قول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه الطبري في « جامع البيان » (٢٢٦٨٨) ، وأبو الشيخ في « العظمة » (٤٠٨) ، والبيهقي في « الأسماء والصفات » (ص ٤٦٣) ، وأخرج قول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عبد الرزاق في « التفسير » (١٦١٧) ، ومن طريقه أبو الشيخ في « العظمة » (٤٠٩) بنحوه ، كلاهما في قوله تعالىٰ : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ .

تابعُ لِمَا في القمرِ ، وما في القمرِ تابعُ لِمَا في الشَّمسِ ؛ إذ منها يشرقُ النُّورُ على القمرِ ، وهٰذهِ الأنوارُ الأربعةُ مُرتَّبةٌ بعضُها أعلىٰ وأكملُ مِن بعضٍ ، ولكلِّ واحدٍ مقامٌ معلومٌ ، ودرجةٌ خاصَّةٌ لا يتعدَّاها .

فاعلمْ : أنَّهُ قدِ انكشفَ لأربابِ البصائرِ : أنَّ الأنوارَ الملكوتيَّةَ إنَّما وُجِدَتْ علىٰ ترتيبٍ كذٰلكَ ، وأنَّ المُقرَّبَ هوَ الأقربُ إلى النُّورِ الأقصىٰ ، فلا يبعُدُ أن تكونَ رتبةُ إسرافيلَ فوقَ رتبةِ جبريلَ ، وأنَّ فيهِمُ الأقربَ لقُربِ درجتِهِ مِن حضرةِ الرُّبوبيَّةِ الَّتي هيَ مَنبَعُ الأنوارِ كلِّها ، وأنَّ فيهِمُ الأدنىٰ ، وبينَهُما درجاتٌ تستعصي على الإحصاءِ ، وإنَّما المعلومُ كثرتُهُم ، وترتيبُهُم في مقاماتِهِم وصفوفِهِم ، وأنَّهُم كما وصفوا بهِ أنفسَهُم ؛ إذ قالوا : ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ ﴾ .

دقيقة

[في أنَّ الأنوارَ إنَّما ترتقي إلىٰ مَن منهُ تشرقُ الأنوارُ كلُّها]

إذا عرفتَ أنَّ الأنوارَ لها ترتيبٌ . . **فاعلمْ** : أنَّها لا تتسلسلُ إلىٰ غيرِ نهايةٍ ، بل ترتقي إلىٰ مَنبعٍ أوَّلَ ؛ هوَ النُّورُ لذاتِهِ وبذاتِهِ ، ليسَ يأتيهِ النُّورُ مِن غيرِهِ ، ومنهُ تشرقُ الأنوارُ كلُّها علىٰ ترتيبِها .

فانظرْ : أنَّ اسمَ النُّورِ أحقُّ وأَولىٰ بالمُستنيرِ المُستعيرِ نورَهُ مِن غيرِهِ ، أو بالنَّيِّرِ في ذاتِهِ ، المُنيرِ لكلِّ ما سواهُ ؟! فما عندي أنَّهُ يخفىٰ عليكَ الحقُّ فيهِ .

وبهِ يتحقَّقُ أنَّ اسمَ النُّورِ أحقُّ بالنُّورِ الأقصى الأعلى ، الَّذي لا نورَ فوقَهُ ، ومنهُ ينزلُ النُّورُ إلىٰ غيرِهِ .

حَقِيقَةٌ

[في أنَّ كلَّ ما سوى النُّورِ الأوَّلِ . . فاسمُ النُّورِ لهُ مجازٌ محضٌ]

بل أقولُ ـ ولا أُبالي ـ : إنَّ اسمَ النُّورِ علىٰ غيرِ النُّورِ الأوَّلِ مجازٌ محضٌ ؛ إذ كلُّ ما سواهُ إذا اعتُبِرَتْ ذاتُهُ . . فهوَ في ذاتِهِ مِن حيثُ ذاتُهُ لا نورَ لهُ ، بل نورانيَّتُهُ مُستعارةٌ مِن غيرِهِ ، ولا قِوامَ لنورانيَّتِهِ المُستعارةِ بنفسِها ، بل بغيرِها ، ونسبةُ المُستعارِ إلى المُستعيرِ مجازٌ محضٌ .

أَفترىٰ أنَّ مَنِ استعارَ ثياباً وفَرْشاً ، ومَركَباً وسَرْجاً ، وركبَهُ في الوقتِ الَّذي أركبَهُ المُعيرُ ، وعلى الحدِّ الَّذي رسمَهُ لهُ . . أَغنِيَ بالحقيقةِ أو بالمجازِ ، وأنَّ المُعيرَ هوَ الغنيُّ أوِ المُستعيرُ ؟!

كلَّا ؛ بلِ المُستعيرُ فقيرٌ في نفسِهِ كما كانَ ، وإنَّما الغنيُّ هوَ المُعيرُ الَّذي منهُ الإعارةُ والإعطاءُ ، وإليهِ الاستردادُ والانتزاعُ .

فإذاً ؛ النُّورُ الحقُّ هوَ الَّذي بيدِهِ الخَلْقُ والأمرُ ، ومنهُ الإنارةُ أوَّلاً ، والإدامةُ ثانياً ، فلا شِركةَ معَهُ لأحدٍ في حقيقةِ هٰذا الاسمِ ، ولا في استحقاقِ هٰذا الاسمِ إلَّا مِن حيثُ نُسمِّيهِ بهِ ، ونَتفضَّلُ عليهِ بتسميتِهِ تَفضُّلَ المالكِ علىٰ عبدِهِ إذا أعطاهُ مالاً ، ثُمَّ سمَّاهُ مالكاً .

وإذا انكشفَتْ للعبدِ هٰذهِ الحقيقةُ . . عَلِمَ أنَّهُ وما لهُ لمالكِهِ على التَّفرُّدِ ، لا شريكَ لهُ فيهِ أصلاً أَلبتَّةَ .

حقيقة

[في أنَّهُ لا ظلمةَ أشدُّ مِن كَتْمِ العَدَمِ]

مهما عرفتَ أنَّ النُّورَ يَرجِعُ إلى الظُّهورِ والإظهارِ ومراتبِهِ . . **فاعلمْ** : أنَّهُ لا ظلمةَ أشدُّ مِن كَتْمِ العَدَمِ ؛ لأنَّ المُظلِمَ يُسمَّىٰ مُظلِماً لأنَّهُ ليسَ يظهرُ للأبصارِ إليهِ وصولٌ ؛ إذ ليسَ يصيرُ موجوداً للبصرِ ، معَ أنَّهُ موجودٌ في نفسِهِ ، فالَّذي ليسَ موجوداً لا لنفسِهِ ولا لغيرِهِ . . كيفَ لا يستحقُّ أن يكونَ هوَ الغايةَ في الظُّلمةِ ، وفي مقابلتِهِ الوجودُ ، فهوَ النُّورُ ؛ فإنَّ الشَّيءَ ما لم يظهرْ في ذاتِهِ . . لا يظهرُ لغيرِهِ .

والوجودُ أيضاً ينقسمُ إلىٰ : ما للشَّيءِ مِن ذاتِهِ ، وإلىٰ ما لهُ مِن غيرِهِ ؛ وما لهُ الوجودُ مِن غيرِهِ . . فوجودُهُ مُستعارٌ لا قِوامَ لهُ بنفسِهِ ، بل إنِ اعتُبِرَتْ ذاتُهُ مِن حيثُ ذاتُهُ . . فهوَ عدمٌ محضٌ ، وإنَّما هوَ موجودٌ مِن حيثُ نسبتُهُ إلىٰ غيرِهِ ، وذٰلكَ ليسَ بوجودٍ حقيقيٍّ ؛ كما عرفتَ في مثالِ استعارةِ الثَّوبِ مِنَ الغنيِّ المُعيرِ .

فالموجودُ الحقُّ هوَ اللهُ سبحانَهُ ؛ كما أنَّ النُّورَ الحقَّ هوَ اللهُ تعالىٰ .

حقيقة الحقائق

[في أنَّهُ لا موجودَ في الوجودِ إلَّا اللهُ تعالىٰ]

مِن ها هنا ترقَّى العارفونَ مِن حضيضِ المجازِ إلىٰ يَفاعِ الحقيقةِ[1] ، واستكملوا معارجَهُم ، فرأَوا بالمشاهدةِ العِيانيَّةِ أن ليسَ في الوجودِ إلَّا اللهُ تعالىٰ ، وأنَّ كلَّ شيءٍ هالكٌ إلَّا وجهَهُ ، لا أنَّهُ يصيرُ هالكاً في وقتٍ مِنَ الأوقاتِ ، بل هوَ هالكٌ أزلاً وأبداً ، ولا يُتصوَّرُ إلَّا كذٰلكَ ؛ فإنَّ كلَّ شيءٍ سواهُ إذا اعتُبِرَتْ ذاتُهُ مِن حيثُ ذاتُهُ . . فهوَ عَدَمٌ محضٌ ، وإذا اعتُبِرَتْ مِنَ الوجهِ الَّذي سرىٰ إليهِ الوجودُ مِنَ الأوَّلِ الحقِّ . . رُئِيَ موجوداً لا في ذاتِهِ ، ولٰكن مِنَ الوجهِ الَّذي يلي مُوجِدَهُ ، فيكونُ الموجودُ وجهَ اللهِ عزَّ وجلَّ فقطْ .

ولكلِّ شيءٍ وجهانِ : وجهٌ إلىٰ نفْسِهِ ، ووجهٌ إلىٰ ربِّهِ ؛ فهوَ باعتبارِ وجهِ نفسِهِ **عَدَمٌ** ، وباعتبارِ وجهِ اللهِ تعالىٰ **موجودٌ** .

فإذاً ؛ لا موجودَ إلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ ووجهُهُ عزَّ وتقدَّسَ ، **فإذاً** ؛ كلُّ شيءٍ هالِكٌ إلَّا وجهَهُ أزلاً وأبداً .

ولم يفتقرْ هٰؤلاءِ إلىٰ قيامِ القيامةِ ليسمعوا نداءَ الباري تعالىٰ : ﴿ لِمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ ، بل هٰذا النِّداءُ لا يفارقُ سمعَهُم أبداً ، ولم يفهموا مِن معنىٰ قولِهِ : (اللهُ أكبرُ) أنَّهُ أكبرُ مِن

---

(١) **اليَفاع** : المرتفع من كل شيء ، **ومراده هنا** : علوُّ وسموُّ مرتبة الحقيقة .

غيرِهِ ، حاشَ للهِ ؛ إذ ليسَ في الوجودِ معَهُ غيرُهُ حتَّىٰ يكونَ أكبرَ منهُ ، بل ليسَ لغيرِهِ رتبةُ المعيَّةِ ، بل رتبةُ التَّبعيَّةِ ، بل ليسَ لغيرِهِ وجودٌ إلَّا مِنَ الوجهِ الَّذي يليهِ ، فالموجودُ وجهُهُ فقطْ ، ومحالٌ أن يُقالَ : إنَّهُ أكبرُ مِن وجهِهِ ، **بل معناهُ** : أنَّهُ أكبرُ مِن أن يُقالَ لَهُ : أكبرُ ؛ بمعنى الإضافةِ والمقايسةِ [1] ، وأكبرُ مِن أن يدركَ غيرُهُ كُنْهَ كبريائِهِ ؛ نبيّاً كانَ أو ملَكاً ، بل لا يعرفُ اللهَ تعالىٰ كُنْهَ معرفتِهِ إلَّا اللهُ جلَّ وعلا ، بل كلُّ معروفٍ داخلٌ تحتَ سلطنةِ العارفِ واستيلائِهِ دخولاً ما ، وذٰلكَ ينافي [2] الجلالَ والكبرياءَ ، **وهٰذا لهُ تحقيقٌ ذكرْناهُ في كتابِ « المَقصِدِ الأسنىٰ في شرحِ أسماءِ اللهِ الحُسنىٰ » سبحانَهُ وتعالىٰ** [3] .

إشارة

[إلىٰ حقيقةِ معنى الوجودِ عندَ العارفينَ]

العارفونَ بعدَ العُروجِ إلىٰ سماءِ الحقيقةِ . . اتَّفقوا في أنَّهُم لم يرَوا في الوجودِ إلَّا الواحدَ الحقَّ ، لٰكن منهُم مَن كانَ لهُ هٰذهِ الحالُ عِرفاناً عِلميّاً ، ومنهُم مَن صارَ لهُ ذٰلكَ حالاً ذوقيّاً ، وانتفَتْ عنهُمُ الكثرةُ بالكلِّيَّةِ ، واستغرقوا بالفَردانيَّةِ المحضةِ ، واستُوفيَتْ فيها عقولُهُم ، فصاروا كالمَبهوتينَ فيهِ ، ولم يبقَ فيهِم مُتَّسَعٌ لا لذِكرِ

---

(١) أي : القياس .

(٢) في (أ) : (لا ينافي) .

(٣) المقصد الأسنىٰ (ص ٩٧ ـ ١١٢) .

غيرِ اللهِ ، ولا لذِكرِ أنفسِهِم أيضاً ، فلم يكنْ عندَهُم إلّا اللهُ جلَّ وعزَّ ، فسكِروا سُكراً رُفِعَ دونَهُ سلطانُ عقولِهِم ، فقالَ أحدُهُم : (أنا الحقُّ) ، وقالَ الآخَرُ : (سبحاني ما أعظمَ شاني) ، وقالَ آخَرُ : (ما في الجُبَّةِ إلّا اللهُ) .

وكلامُ العُشّاقِ في حالِ السُّكرِ يُطوىٰ ولا يُحكىٰ ، فلَمّا خفَّ عنهُم سُكرُهُم ، ورُدُّوا إلىٰ سلطانِ العقلِ الّذي هوَ ميزانُ اللهِ تعالىٰ في الأرضِ . . عرفوا أنَّ ذٰلكَ لم يكنْ حقيقةَ الاتِّحادِ ، بل شِبْهَ الاتِّحادِ ؛ مِثلَ قولِ العاشقِ في حالِ فَرْطِ عشقِهِ[1] : [من الرمل]

أَنَا مَنْ أَهْوَىٰ وَمَنْ أَهْوَىٰ أَنَا ... نَحْنُ رُوحَانِ حَلَلْنَا بَدَنَا

ولا يبعُدُ أن يفاجِئَ الإنسانَ مرآةٌ فينظرَ فيها ، ولم يرَ المرآةَ قطُّ ، فيَظُنَّ أنَّ الصُّورةَ الّتي يراها هيَ صورةُ المرآةِ مُتَّحِدةٌ بها ، ويرى الخمرَ في الزُّجاجِ فيَظُنَّ أنَّ الخمرَ لونُ الزُّجاجِ ، وإذا صارَ ذٰلكَ عندَهُ مألوفاً معروفاً ، ورسخَ فيهِ قدمُهُ . . استغفرَ[2] وقالَ[3] : [من الكامل]

رَقَّ ٱلزُّجَاجُ وَرَقَّتِ ٱلْخَمْرُ ... فَتَشَابَهَا فَتَشَاكَلَ ٱلْأَمْرُ

فَكَأَنَّمَا خَمْرٌ وَلَا قَدَحٌ ... وَكَأَنَّمَا قَدَحٌ وَلَا خَمْرُ

وفرقٌ بينَ أن يقولَ : الخمرُ قدحٌ ، وبينَ أن يقولَ : كأنَّها القدحُ .

---

(١) انظر « اللمع » (ص ٤٨٧) ، و« وفيات الأعيان » (٢/١٤١) .

(٢) في (ب) : (استغرق) .

(٣) البيتان للصاحب بن عباد في « ديوانه » (ص ١٧٦) .

وهٰذهِ الحالةُ إذا غلبَتْ . . سُمِّيَتْ بالإضافةِ إلىٰ صاحبِ الحالةِ : **فَناءً** ، **بل فَناءَ الفَناءِ** ؛ لأنَّهُ فَنِيَ عن نفسِهِ ، وفَنِيَ عن فَنائِهِ ؛ فإنَّهُ ليسَ يشعرُ بنفْسِهِ في تلكَ الحالِ ، ولا بعدمِ شعورِهِ بنفْسِهِ ، ولو شعرَ بعدمِ شعورِهِ بنفْسِهِ . . لكانَ قد شعرَ بنفْسِهِ ، وتُسمَّىٰ هٰذهِ الحالُ بالإضافةِ إلى المُستغرِقِ بها بلسانِ المجازِ : **اتِّحاداً** ، وبلسانِ الحقيقةِ : **توحيداً** .

ووراءَ هٰذهِ الحقائقِ أيضاً أسرارٌ يطولُ الخوضُ فيها .

خاتمة

[في وجهِ إضافةِ نورِهِ إلى السَّماواتِ والأرضِ]

لعلَّكَ تشتهي الآنَ أن تعرفَ وجهَ إضافةِ نورِهِ إلى السَّماواتِ والأرضِ [1] ، بل وجهَ كونِهِ في ذاتِهِ نورَ السَّماواتِ والأرضِ ، **ولا ينبغي أن يَخفىٰ ذٰلكَ عليكَ بعدَ أن عرفتَ أنَّ الحقَّ** : أنَّهُ النُّورُ ، ولا نورَ سواهُ ، وأنَّهُ كلُّ الأنوارِ ، وأنَّهُ النُّورُ الكلِّيُّ ؛ **لأنَّ النُّورَ** : عبارةٌ عمَّا تنكشفُ بهِ الأشياءُ ، **وأعلىٰ منهُ** : ما ينكشفُ بهِ ولهُ ، **وأعلىٰ منهُ** : ما ينكشفُ بهِ ولهُ ومنهُ ؛ فإنَّ الحقيقيَّ منهُ ما ينكشفُ بهِ ولهُ ومنهُ ، وليسَ فوقَهُ نورٌ منهُ اقتباسُهُ واستمدادُهُ ، بل ذٰلكَ لهُ في ذاتِهِ مِن ذاتِهِ لذاتِهِ ، لا مِن غيرِهِ .

---

(١) أي : في قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . . ﴾ .

ثُمَّ عرفتَ : أنَّ هٰذا لا يتَّصفُ بهِ إلَّا النُّورُ الأوَّلُ .

ثُمَّ عرفتَ : أنَّ السَّماواتِ والأرضَ مشحونةٌ نوراً مِن طبقتَي النُّورِ ؛ أعني : المنسوبَ إلى البصرِ والبصيرةِ ؛ أي : إلى الحسِّ والعقلِ .

أمَّا البصريُّ . . فما نشاهدُهُ في السَّماواتِ مِنَ الكواكبِ والشَّمسِ والقمرِ ، وما نشاهدُهُ في الأرضِ مِنَ الأشعَّةِ المُنبسِطةِ علىٰ كلِّ ما على الأرضِ ، حتَّىٰ ظهرَتْ بهِ الألوانُ المُختلِفةُ ؛ خصوصاً في الرَّبيعِ ، وعلىٰ كلِّ حالٍ في الحيواناتِ والمعادنِ وأصنافِ الموجوداتِ ، ولولاها . . لم يكنْ للألوانِ ظهورٌ ، بل ولا وجودٌ ، ثُمَّ سائرُ ما يظهرُ للحسِّ مِنَ الأشكالِ والمقاديرِ . . يُدرَكُ تبعاً للألوانِ ، ولا يُتصوَّرُ إدراكُها إلَّا بواسطتِها .

وأمَّا الأنوارُ العقليَّةُ المعنويَّةُ . . فالعالَمُ الأعلىٰ مشحونٌ بها ؛ وهيَ جواهرُ الملائكةِ ، والعالَمُ الأسفلُ مشحونٌ بها ؛ وهيَ الحياةُ الحيوانيَّةُ ، ثُمَّ الإنسانيَّةُ .

وبالنُّورِ الإنسانيِّ السُّفليِّ ظهرَ نظامُ العالَمِ السُّفليِّ ؛ كما بالنُّورِ العُلْويِّ المَلَكيِّ ظهرَ نظامُ العالَمِ العُلْويِّ ، وهوَ المَعْنيُّ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ [١١/٦١] ، وقالَ تعالىٰ : ﴿ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ [٢٤/٥٥] ، وقالَ : ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [٢٧/٦٢] ، وقالَ : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [٢/٣٠] .

فإذا عرفتَ هـٰذا . . عرفتَ : أنَّ العالَمَ بأسرِهِ مشحونٌ بالأنوارِ الظَّاهرةِ البصريَّةِ ، والباطنةِ العقليَّةِ .

ثُمَّ عرفتَ : أنَّ السُّفْليَّةَ فائضةٌ بعضُها مِن بعضٍ فيضانَ النُّورِ مِنَ السِّراجِ ، وأنَّ السِّراجَ هوَ الرُّوحُ النَّبويُّ القُدْسيُّ ، وأنَّ الأرواحَ النَّبويَّةَ القُدْسيَّةَ مُقتبسةٌ مِنَ الأرواحِ العُلْويَّةِ اقتباسَ السِّراجِ مِنَ النَّارِ ، وأنَّ العُلْويَّاتِ بعضُها مُقتبِسةٌ مِنَ البعضِ ، وأنَّ بينَها ترتيبَ مقاماتٍ ، ثُمَّ ترتقي جملتُها إلىٰ نورِ الأنوارِ ومَعدِنِها ومَنبَعِها الأوَّلِ ؛ وأنَّ ذٰلكَ هوَ اللهُ تعالىٰ وحدَهُ لا شريكَ لهُ ، وأنَّ سائرَ الأنوارِ مُستعارةٌ ، وإنَّما النُّورُ الحقيقيُّ نورُهُ فقطْ ، وأنَّ الكلَّ نورُهُ ، بل هوَ الكلُّ ، بل لا هُوِيَّةَ لغيرِهِ إلَّا بالمجازِ .

فإذاً ؛ لا نورَ إلَّا هوَ ، وسائرُ الأنوارِ أنوارٌ مِنَ الوجهِ الَّذي يليهِ لا مِن ذاتِها ، فوجهُ كلِّ ذي وجهٍ إليهِ ، ومُوَلٍّ شطرَهُ ، فأينَما تُولُّوا فثَمَّ وجهُ اللهِ .

فإذاً ؛ لا إلـٰهَ إلَّا هوَ ، **فإنَّ** (**الإلـٰهَ**) : عبارةٌ عمَّا الوجوهُ مُوَلِّيةٌ نحوَهُ بالعبادةِ والتَّألُّهِ[1] ؛ أعني : وجوهَ القلوبِ ، فإنَّها الأنوارُ ، بل كما لا إلـٰهَ إلَّا هوَ . . فلا هوَ إلَّا هوَ ؛ **لأنَّ** (**هوَ**) : عبارةٌ عمَّا إليهِ إشارةٌ كيفَما كانَ ، ولا إشارةَ إلَّا إليهِ ، بل كلُّ ما أشرتَ إليهِ . . فهوَ بالحقيقةِ إشارةٌ إليهِ ، وإن كنتَ لا تعرفُهُ أنتَ ؛ لغفلتِكَ عن حقيقةِ الحقائقِ الَّتي ذكرْناها .

---

(١) **التألُّه** : التعبُّد .

فاعلمْ : أنَّكَ إذا أشرتَ إلىٰ نورِ الشَّمسِ . . فكأنَّما أشرتَ إلى الشَّمسِ ، ولا إشارةَ إلىٰ نورِ الشَّمسِ ، بل إلى الشَّمسِ ، وكلُّ ما في الوجودِ . . فنِسبتُهُ إليهِ في ظاهِرِ المثالِ كنسبةِ النُّورِ إلى الشَّمسِ .

فإذاً : (لا إلـٰهَ إلَّا اللهُ) **توحيدُ العوامِّ** ، و(لا هوَ إلَّا هوَ) **توحيدُ الخواصِّ** ؛ لأنَّ هـٰذا أتمُّ وأخصُّ وأشملُ ، وأحقُّ وأدقُّ وأدخلُ بصاحبِهِ في الفَردانيَّةِ المحضةِ ، والوَحدانيَّةِ الصِّرفةِ .

ومنتهىٰ مِعراجِ الخلائقِ مملكةُ الفَردانيَّةِ ، وليسَ وراءَ ذٰلكَ مَرقىً ؛ إذِ المَرقىٰ لا يُتصوَّرُ إلَّا بكثرةٍ ، فإنَّهُ نوعُ إضافةٍ يستدعي ما منهُ الارتقاءُ ، وما إليهِ الارتقاءُ .

وإذا ارتفعَتِ الكثرةُ . . حَقَّتِ الوَحدةُ ، وبطلَتِ الإضافاتُ ، وطاحَتِ الإشاراتُ ، فلم يبقَ عُلْوٌ ولا سُفْلٌ ، ولا نازلٌ ولا مُرتفِعٌ ، فاستحالَ التَّرقِّي ، واستحالَ العُروجُ .

فليسَ وراءَ الأعلىٰ عُلْوٌ ، ولا معَ الوَحدةِ كثرةٌ ، ولا معَ انتفاءِ الكثرةِ عُروجٌ .

فإن كانَ مِن تَغيُّرِ حالٍ . . فبالنُّزولِ إلى السَّماءِ الدُّنيا ؛ أعني : بالإشرافِ مِن عُلْوٍ إلىٰ سُفْلٍ ؛ لأنَّ الأعلىٰ لهُ أسفلُ ، وليسَ لهُ أعلىٰ .

فهـٰذهِ هيَ غايةُ الغاياتِ ، **ومنتهى الطَّلِباتِ** ، يعلمُهُ مَن يعلمُهُ ، وينكرُهُ مَن يجهلُهُ .

وهوَ مِنَ العِلمِ الَّذي هوَ كهيئةِ المكنونِ ، الَّذي لا يعلمُهُ إلَّا

العلماءُ باللهِ ، فإذا نطقوا بهِ . . لم ينكرْهُ إلَّا أهلُ الغِرَّةِ باللهِ .

ولا يبعُدُ أن قالَ العلماءُ : إنَّ النُّزولَ إلى السَّماءِ الدُّنيا هوَ نزولُ ملَكٍ [1] ، فقد توهَّمَ بعضُ العارفينَ ما هوَ أبعدُ منهُ ؛ إذ قالَ : هٰذا المُستغرِقُ بالفَردانيَّةِ أيضاً لهُ نزولٌ إلى السَّماءِ الدُّنيا ، وإنَّ ذٰلكَ هوَ نزولُهُ إلى استعمالِ الحواسِّ ، أو تحريكِ الأعضاءِ ، وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ : « صِرْتُ سَمْعَهُ ٱلَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ ٱلَّذِي يُبْصِرُ بِهِ ، وَلِسَانَهُ ٱلَّذِي يَنْطِقُ بِهِ » [2] ، فإذا كانَ هوَ سمعَهُ وبصرَهُ ولسانَهُ . . فهوَ السَّامعُ والباصرُ والنَّاطقُ إذاً لا غيرُهُ ، وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ : « مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي . . . » الحديثَ [3] .

فحركاتُ هٰذا المُوحِّدِ مِنَ السَّماءِ الدُّنيا ، وإحساساتُهُ ـ كالسَّمعِ والبصرِ ـ مِن سماءٍ فوقَهُ ، وعقلُهُ فوقَ ذٰلكَ ، وهوَ يترقَّىٰ مِن سماءِ العقلِ إلىٰ منتهىٰ مِعراجِ الخلائقِ ، ومملكةِ الفَردانيَّةِ إلىٰ تمامِ سبعِ طبقاتٍ ، ثُمَّ بعدَهُ يستوي علىٰ عرشِ الوَحدانيَّةِ ، ومنهُ يدبِّرُ الأُمورَ لطبقاتِ سماواتِهِ .

فربَّما نظرَ النَّاظرُ إليهِ فأطلقَ القولَ : بأنَّ اللهَ خلقَ آدمَ علىٰ

---

(١) مستنبطٌ من الحديث النبوي الذي أخرجه النسائي في « السنن الكبير » (١٠٢٤٣) : عن سيدنا أبي هريرة ، وسيدنا أبي سعيد رضي الله عنهما قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُمهِلُ حتَّىٰ يمضيَ شطرُ اللَّيلِ الأوَّلِ ، ثُمَّ يأمرُ مُنادياً يُنادي يقولُ : هل مِن داعٍ يُستجابُ لهُ ؟ هل مِن مُستغفِرٍ يُغفَرُ لهُ ؟ هل مِن سائلٍ يُعطَىٰ ؟ » .

(٢) جزء حديث أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٠٦/٨) واللفظ له عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

صورةِ الرَّحمـٰنِ ، إلىٰ أن يمعنَ النَّظرَ فيعلمَ : أنَّ ذٰلك لهُ تأويلٌ ؛ كقولِ القائلِ : (أنا الحقُّ) ، و(سبحاني ما أعظمَ شاني) ، بل كقولِهِ لموسىٰ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي »[١] ، و« كُنْتُ سَمْعَهُ ، وَبَصَرَهُ ، وَلِسَانَهُ »[٢] .

وأرى الآنَ قبضَ عِنانِ البيانِ ؛ فما أَراكَ تُطيقُ مِن هـٰذا القِدْرِ[٣] أكثرَ مِن هـٰذا القَدْرِ .

مُسَاعَدَةٌ

[في مثالٍ يقرِّبُ معنىٰ كونِهِ نورَ السَّماواتِ والأرضِ]

لعلَّكَ لا تسمو إلىٰ هـٰذا الكلامِ نَهمتُكَ[٤] ، بل يقصُرُ دونَ ذِروتِـهِ هِمَّتُكَ ، فخذْ إليكَ كلاماً أقربَ إلىٰ فهمِكَ ، وأوفقَ لضعفِكَ .

واعلمْ : أنَّ معنىٰ كونِهِ نورَ السَّماواتِ والأرضِ . . تعرفُهُ بالنِّسبةِ إلى النُّورِ الظَّاهرِ البصريِّ ، فإذا رأيتَ أنوارَ الرَّبيعِ وخضرتَهُ مثلاً في ضياءِ النَّهارِ . . فلستَ تَشُكُّ في أنَّكَ ترى الألوانَ ، وربَّما ظننتَ أنَّكَ لستَ ترىٰ معَ الألوانِ غيرَها ؛ فإنَّكَ تقولُ : لستُ أَرىٰ معَ الخضرةِ غيرَ الخضرةِ .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ : « إنَّ الله عزَّ وجلَّ يقول يوم القيامة : يا بن آدم ؛ مرضت فلم تعدني . . . » الحديث .

(٢) تقدم تخريجه قريباً .

(٣) في (ب) : (الفن) .

(٤) أي : لم تبلغْ همَّتُكَ غايتَها لبلوغه ، وفي (ب ، ط) : (بِهِمَّتك) .

ولقد أصرَّ علىٰ هٰذا قومٌ فزعموا : أنَّ النُّورَ لا معنىٰ لهُ ، وأنَّهُ ليسَ معَ الألوانِ غيرُ الألوانِ ، فأنكروا وجودَ النُّورِ ، معَ أنَّهُ أظهرُ الأشياءِ ، وكيفَ لا وبهِ تَظهَرُ الأشياءُ ؟! وهوَ الَّذي يُبصَرُ في نفسِهِ ، ويُبصَرُ بهِ غيرُهُ ؛ كما سبقَ لكَ .

لٰكن عندَ غروبِ الشَّمسِ ، وغَيْبةِ السِّراجِ ، ووقوعِ الظِّلِّ . . أدركوا تفرقةً ضروريَّةً بينَ محلِّ الظِّلِّ ، وبينَ مَوقِعِ الضِّياءِ ، فاعترفوا بأنَّ النُّورَ معنىً وراءَ الألوانِ ، يُدرَكُ معَ الألوانِ ؛ حتَّىٰ كأنَّهُ لشدَّةِ اتِّحادِهِ بهِ لا يُدرَكُ ، ولشدَّةِ ظهورِهِ يخفىٰ ، وقد تكونُ شدَّةُ الظُّهورِ سببَ الخفاءِ ، والشَّيءُ إذا جاوزَ حدَّهُ . . انعكسَ علىٰ ضدِّهِ .

❁ ❁ ❁

فإذا عرفتَ هٰذا . . فاعلمْ : أنَّ أربابَ البصائرِ ما رأَوا شيئاً إلَّا رأَوُا اللهَ معَهُ ، وربَّما زادَ علىٰ هٰذا بعضُهُم فقالَ : (ما رأيتُ شيئاً إلَّا ورأيتُ اللهَ تعالىٰ قبلَهُ) ؛ **لأنَّ منهُم** : مَن يرى الأشياءَ بهِ ، **ومنهُم** : مَن يرى الأشياءَ فيراهُ بالأشياءِ ، وإلى الأوَّلِ الإشارةُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ ، وإلى الثَّاني الإشارةُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ ﴾ ، فالأوَّلُ : **صاحبُ مشاهدةٍ** ، والثَّاني : **صاحبُ استدلالٍ بآياتِهِ عليهِ** ، والأوَّلُ **درجةُ الصِّدِّيقينَ** ، والثَّاني **درجةُ العلماءِ الرَّاسخينَ** ، وليسَ بعدَهُما إلَّا **درجةُ الغافلينَ المحجوبينَ** .

❁ ❁ ❁

فإذا عرفتَ هٰذا . . فاعلمْ : أنَّهُ كما ظهرَ كلُّ شيءٍ للبصرِ بالنُّورِ الظَّاهرِ . . فقد ظهرَ كلُّ شيءٍ للبصيرةِ الباطنةِ باللهِ سبحانَهُ وتعالىٰ ، فهوَ معَ كلِّ شيءٍ لا يفارقُهُ ، ثُمَّ بهِ يظهرُ كلُّ شيءٍ ؛ كما أنَّ النُّورَ معَ كلِّ شيءٍ ، وبهِ يظهرُ .

ولٰكن يبقىٰ ها هنا تفاوتٌ ؛ وهوَ : أنَّ النُّورَ الظَّاهرَ يُتصوَّرُ أن يغيبَ بغروبِ الشَّمسِ ويُحجَبَ حتَّىٰ يظهرَ الظِّلُّ ، وأمَّا النُّورُ الإلٰهيُّ الَّذي بهِ يظهرُ كلُّ شيءٍ . . لا تُتصوَّرُ غَيْبتُهُ ، بل يستحيلُ تغيُّرُهُ ، فيبقىٰ معَ الأشياءِ دائماً ، فانقطعَ طريقُ الاستدلالِ بالتَّفرقةِ .

ولو تُصوِّرَتْ غَيْبتُهُ . . لانهدَّتِ السَّماواتُ والأرضُ ، ولأُدرِكَ بهِ مِنَ التَّفرقةِ ما يُضطَرُّ معَهُ إلى المعرفةِ بما بهِ ظهرَتِ الأشياءُ ، ولٰكن لَمَّا تساوَتِ الأشياءُ كلُّها علىٰ نمطٍ واحدٍ في الشَّهادةِ لوَحدانيَّةِ خالقِها ـ إذ كلُّ شيءٍ يُسبِّحُ بحمدِهِ ، لا بعضُ الأشياءِ ، وفي جميعِ الأوقاتِ ، لا في بعضِ الأوقاتِ ـ . . ارتفعَ التَّفريقُ ، وخَفِيَ الطَّريقُ ؛ إذِ الطَّريقُ الظَّاهرُ معرفةُ الأشياءِ بالأضدادِ ، فما لا ضدَّ لهُ ولا تغيُّرَ لهُ . . تتشابهُ الأحوالُ في الشَّهادةِ لهُ ، فلا يبعُدُ أن يخفىٰ ، ويكونُ خفاؤُهُ لشدَّةِ جلائِهِ ، والغفلةُ عنهُ لإشراقِ ضيائِهِ ، فسبحانَ مَنِ اختفىٰ عنِ الخَلْقِ لشدَّةِ ظهورِهِ ، واحتجبَ عنهُم لإشراقِ نورِهِ .

❁ ❁ ❁

وربَّما لم يفهمْ أيضاً كُنْهَ هٰذا الكلامِ بعضُ القاصرينَ ، فيفهمُ مِن قولِنا : إنَّ اللهَ تعالىٰ معَ كلِّ شيءٍ . . كالنُّورِ معَ الأشياءِ : أنَّهُ في كلِّ مكانٍ ، تعالىٰ وتَقدَّسَ عنِ النِّسبةِ إلى المكانِ ، بل لعلَّ الأبعدَ عن إثارةِ هٰذا الخيالِ أن نقولَ : إنَّهُ قبلَ كلِّ شيءٍ ، وإنَّهُ فوقَ كلِّ شيءٍ ، وإنَّهُ مُظهِرُ كلِّ شيءٍ ، والمُظهِرُ ما لا يفارقُ المُظهَرَ في معرفةِ صاحبِ البصيرةِ ، فهوَ الَّذي نعني بقولِنا : (إنَّهُ معَ كلِّ شيءٍ) .

ثُمَّ لا يخفىٰ عليكَ أيضاً أنَّ المُظهِرَ قبلَ المُظهَرِ وفوقَهُ ، معَ أنَّهُ معَهُ بوجهٍ ، لٰكنَّهُ معَهُ بوجهٍ وقبلَهُ بوجهٍ ، فلا تَظُنَّنَّ أنَّهُ مُتناقِضٌ ، واعتبرْ بالمحسوساتِ الَّتي هيَ درجتُكَ في العِرفانِ ، وانظرْ كيفَ تكونُ حركةُ اليدِ معَ حركةِ ظلِّ اليدِ وقبلَها أيضاً .

ومَن لم يتَّسعْ صدرُهُ لمعرفةِ هٰذا . . فلْيهجرْ هٰذا النَّمطَ مِنَ العِلمِ ، ولكلِّ عملٍ رجالٌ ، وكلٌّ مُيسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لهُ .

* * *

الفصل الثّاني

في طريق بيان مثال المشكاة والمصباح والزّجاجة والشّجرة والزّيت والنّار[1]

ومعرفةُ هٰذا تستدعي تقديمَ قُطبَينِ يتّسعُ المجالُ فيهِما إلىٰ غيرِ حدٍّ محدودٍ ، ولٰكنّي أُشيرُ إليهِما بالرَّمزِ والاختصارِ .

أحدُهُما : في بيانِ سرِّ التَّمثيلِ ، ومنهاجِهِ ، ووجهِ ضبطِ أرواحِ المعاني بقوالبِ الأمثلةِ ، ووجهِ كيفيَّةِ المناسبةِ بينَهُما ، وكيفيَّةِ الموازنةِ بينَ عالَمِ الشَّهادةِ الَّتي منها تُتَّخذُ طينةُ الأمثالِ ، وعالَمِ الملكوتِ الَّذي منهُ تُستنزَلُ أرواحُ المعاني .

والثّاني : في طبقاتِ أرواحِ الطِّينةِ البشريَّةِ ، ومراتبِ أنوارِها ؛ فإنَّ هٰذا المثالَ مَسُوقٌ لبيانِ ذٰلكَ ، إذ قرأَ ابنُ مسعودٍ : (مَثَلُ نورِهِ في قلبِ المُؤمِنِ كمِشكاةٍ) ، وقرأَ أُبَيُّ بنُ كعبٍ : (مَثَلُ نورِ قلبِ مَن آمنَ كمِشكاةٍ)[2] .

* * *

---

(١) في قولِهِ تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

(٢) أوردهما الحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (٣/٣٧) ضمن الأصل (١٥٥) ، والسمعاني في « تفسير القرآن » (٣/٥٢٩) .

القطب الأوّل

في سرّ التّمثيل ، ومنهاجه

اعلمْ : أنَّ العالَمَ عالَمانِ : **روحانيٌّ** ، **وجسمانيٌّ** ، وإن شئتَ . . قلتَ : **حسِّيٌّ** ، **وعقليٌّ** ، وإن شئتَ . . قلتَ : **عُلْويٌّ** ، **وسُفْليٌّ** ، والكلُّ مُتقارِبٌ ، وإنَّما يختلفُ باختلافِ الاعتباراتِ .

فإذا اعتبرتَهُما في أنفسِهِما . . قلتَ : **جسمانيٌّ** ، **وروحانيٌّ** .

وإنِ اعتبرتَهُما بالإضافةِ إلى العينِ المُدرِكةِ لهُما . . قلتَ : **حسِّيٌّ** ، **وعقليٌّ** .

وإنِ اعتبرتَهُما بإضافةِ أحدِهِما إلى الآخَرِ . . قلتَ : **عُلْويٌّ** ، **وسُفْليٌّ** .

وربَّما سمَّيتَ أحدَهُما : **عالَمَ المُلْكِ والشَّهادةِ** ، والآخَرَ : **عالَمَ الغيبِ والملكوتِ** .

ومَن يطلبُ الحقائقَ مِنَ الألفاظِ . . ربَّما تحيَّرَ عندَ كثرةِ الألفاظِ ، وتَخيَّلَ كثرةَ المعاني ، والَّذي تنكشفُ لهُ الحقائقُ . . يجعلُ المعانيَ أصلاً ، والألفاظَ تابعاً ، وأمرُ الضَّعيفِ بالعكسِ منهُ ؛ إذ يَطلُبُ الحقائقَ مِنَ الألفاظِ ، وإلى الفريقَينِ الإشارةُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

❁ ❁ ❁

فإذا عرفتَ معنى العالَمِينِ . . فاعلمْ : أنَّ العالَمَ المَلَكوتيَّ عالَمُ غيبٍ ؛ إذ هوَ غائبٌ عنِ الأكثرينَ ، والعالَمَ الحسِّيَّ عالَمُ شهادةٍ ؛ إذ يشهدُهُ الكافَّةُ ، والعالَمُ الحسِّيُّ مَرقاةٌ إلى العقليِّ ، فلو لم يكنْ بينَهُما اتِّصالٌ ومناسبةٌ . . لانسدَّ طريقُ التَّرقِّي إليهِ ، ولو تعذَّرَ ذٰلكَ . . لتعذَّرَ السَّفرُ إلىٰ حضرةِ الرُّبوبيَّةِ ، والقُربُ مِنَ اللهِ تعالىٰ ، فلن يَقرُبَ أحدٌ مِنَ اللهِ عزَّ وجلَّ ما لم يطأْ بُحْبوحةَ حظيرةِ القُدْسِ (١) .

والعالَمُ المُرتفِعُ عن إدراكِ الحسِّ والخيالِ . . هوَ الَّذي نعنيهِ بعالَمِ القُدْسِ ، فإذا اعتبرْنا جملتَهُ بحيثُ لا يخرجُ منهُ شيءٌ ، ولا يدخلُ فيهِ ما هوَ غريبٌ منهُ . . سمَّيْناهُ : **حظيرةَ القُدْسِ** ، وربَّما سمَّيْنا الرُّوحَ البشريَّ الَّذي هوَ مَجرىٰ لوائحِ القُدْسِ : **الواديَ المُقدَّسَ** .

ثُمَّ هٰذهِ الحظيرةُ فيها حظائرُ بعضُها أشدُّ إمعاناً في معاني القُدْسِ ، ولٰكن لفظُ الحظيرةِ يحيطُ بجميعِ طبقاتِها ، فلا تَظُنَّنَّ أنَّ هٰذهِ الألفاظَ طامَّاتٌ غيرُ معقولةٍ عندَ أربابِ البصائرِ .

واشتغالي الآنَ بشرحِ كلِّ لفظٍ معَ ذِكْرِهِ . . يصدُّني عنِ المَقصِدِ ، فعليكَ التَّشميرُ لفهمِ هٰذهِ الألفاظِ .

❀ ❀ ❀

فأرجعُ إلى الغرضِ فأقولُ : لَمَّا كانَ عالَمُ الشَّهادةِ مَرقاةً إلىٰ

---

(١) البُحْبوحة : وسط كل شيء وخياره .

عالَمِ الملكوتِ ، وكانَ سلوكُ الصِّراطِ المُستقيمِ عبارةً عن هٰذا التَّرقِّي ، وقد يُعبَّرُ عنهُ : بالدِّينِ ، وبمنازلِ الهُدىٰ ؛ فلو لم يكنْ بينَهُما اتِّصالٌ ومناسبةٌ . . لَما تُصوِّرَ التَّرقِّي مِن أحدِهما إلى الآخَرِ ، فجُعِلَتِ الرَّحمةُ الإلٰهيَّةُ عالَمَ الشَّهادةِ علىٰ موازنةِ عالَمِ الملكوتِ .

فما مِن شيءٍ في هٰذا العالَمِ إلَّا وهوَ مثالٌ لشيءٍ مِن ذٰلكَ العالَمِ ، وربَّما كانَ الشَّيءُ الواحدُ مثالاً لأشياءَ مِنَ المَلكوتِ ، وربَّما كانَ للشَّيءِ الواحدِ مِنَ الملكوتِ أمثلةٌ كثيرةٌ مِن عالَمِ الشَّهادةِ ، وإنَّما يكونُ مثالاً إذا ماثلَهُ نوعاً مِنَ المُماثَلةِ ، وطابقَهُ نوعاً مِنَ المُطابَقةِ .

❀ ❀ ❀

وإحصاءُ تلكَ الأمثلةِ يستدعي استقصاءَ جميعِ موجوداتِ العالَمَينِ بأسرِها ، ولن تَفِيَ بهِ القوَّةُ البشريَّةُ ، وما اتَّسعَ لفهمِهِ القوَّةُ البشريَّةُ . . فلا تفي بشرحِهِ الأعمارُ القصيرةُ .

فغايتي : أن أُعرِّفَكَ منها أُنْموذَجاً ؛ لتستدلَّ باليسيرِ منها على الكثيرِ ، وينفتحَ لكَ بابُ الاستبصارِ بهٰذا النَّمطِ مِنَ الأسرارِ ، **فأقولُ** :

إن كانَ في عالَمِ الملكوتِ جواهرُ نورانيَّةٌ شريفةٌ عاليةٌ يُعبَّرُ عنها : بالملائكةِ ، منها تفيضُ الأنوارُ على الأرواحِ البشريَّةِ ، ولأجلِها قد تُسمَّىٰ : أرباباً ، ويكونُ اللهُ سبحانَهُ وتعالىٰ ربَّ الأربابِ لذٰلكَ ، ويكونُ لها مراتبُ في نورانيَّتِها مُتفاوِتةٌ . . فبالحريِّ أن

يكونَ مثالُها مِن عالَمِ الشَّهادةِ : الشَّمسَ ، والقمرَ ، والكواكبَ .

والسَّالكُ للطَّريقِ أوَّلاً ينتهي إلىٰ ما درجتُهُ درجةُ الكواكبِ ، فيتَّضحُ لهُ إشراقُ نورِهِ ، وينكشفُ لهُ : أنَّ العالَمَ الأسفلَ بأسرِهِ تحتَ سلطانِهِ ، وتحتَ إشراقِ نورِهِ ، ويتَّضحُ لهُ مِن جمالِهِ وعلوِّ درجتِهِ ما ينادي فيقولُ : (هٰذا ربِّي) .

ثُمَّ إذا اتَّضحَ لهُ ما فوقَهُ ممَّا رتبتُهُ رتبةُ القمرِ . . رأىٰ أُفولَ الأوَّلِ في مَغرِبِ الهُوِيِّ بالإضافةِ إلىٰ ما فوقَهُ فقالَ : (لا أُحبُّ الآفلينَ) .

وكذٰلكَ يترقَّىٰ حتَّىٰ ينتهيَ إلىٰ ما مثالُهُ الشَّمسُ ، فيراهُ أكبرَ وأعلىٰ ، فيراهُ قابلاً للمثالِ بنوعِ مناسبةٍ لهُ معَهُ ، والمناسبةُ معَ ذي النَّقصِ نقصٌ وأُفولٌ أيضاً ، فمنهُ يقولُ : (وجَّهتُ وجهيَ للَّذي فطرَ السَّماواتِ والأرضَ حنيفاً) .

ومعنى (الَّذي) : إشارةٌ مُبهَمةٌ لا مناسبةَ لها ؛ إذ لو قالَ قائلٌ : ما مثالُ مفهومِ (الَّذي) . . لم يُتصوَّرْ أن يُجابَ عنهُ ، فالمُنزَّهُ عن كلِّ مناسبةٍ هوَ الأوَّلُ الحقُّ .

وكذٰلكَ لَمَّا قالَ بعضُ الأعرابِ لرسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : (ما نسبةُ الإلٰهِ ؟) . . نزلَ في جوابِهِ : ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ [1] ، **معناهُ** : أنَّ التَّقديسَ والتَّنزيهَ عنِ النِّسبةِ نسبتُهُ .

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٦٤) عن سيدنا أُبي بن كعب رضي الله عنه .

وكذلكَ لَمَّا قالَ فرعونُ لموسىٰ عليهِ السَّلامُ : ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، كالطَّالبِ لماهيَّتِهِ . . لم يجبْهُ إلَّا بتعريفِهِ بأفعالِهِ ؛ إذ كانَتِ الأفعالُ أظهرَ عندَ السَّائلِ ، فقالَ : ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ، فقالَ فرعونُ لمَن حولَهُ : ﴿ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴾ ، كالمُنكرِ عليهِ في عدولِهِ في جوابِهِ عن طلبِ الماهيَّةِ ، فقالَ موسىٰ : ﴿ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ ، فنَسبَهُ فرعونُ إلى الجنونِ ؛ إذ كانَ مَطلَبُهُ المثالَ والماهيَّةَ ، وهوَ يجيبُهُ عنِ الأفعالِ ، فقالَ : ﴿ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴾ .

* * *

ولْنرجعْ إلى الأُنْموذَجِ ، فأقولُ : عِلمُ التَّعبيرِ يُعرِّفُكَ مِنهاجَ ضربِ الأمثالِ ؛ لأنَّ الرُّؤيا جزءٌ مِنَ النُّبوَّةِ ، أما ترىٰ أنَّ الشَّمسَ في الرُّؤيا تعبيرُها : السُّلطانُ ؟! وذٰلكَ لِمَا بينَهُما مِنَ المُشارَكةِ والمُماثَلةِ في معنًىٰ روحانيٍّ ؛ وهوَ الاستعلاءُ على الكافَّةِ معَ فيضانِ الآثارِ على الجميعِ .

والقمرُ تعبيرُهُ : الوزيرُ ؛ لإفاضةِ الشَّمسِ نورَها بواسطةِ القمرِ على العالَمِ عندَ غَيْبتِها ؛ كما يُفيضُ السُّلطانُ آثارَهُ بواسطةِ الوزيرِ علىٰ مَن يغيبُ عن حضرةِ السُّلطانِ .

وأنَّ مَن يرىٰ أنَّ في يدِهِ خاتَماً يختمُ بهِ أفواهَ الرِّجالِ وفروجَ النِّساءِ . . فتعبيرُهُ : أنَّهُ مُؤذِّنٌ يؤذِّنُ قبلَ الصُّبحِ في رمضانَ .

وأنَّ مَن يرىٰ أنَّهُ يصبُّ الزَّيتَ في الزَّيتونِ . . فتعبيرُهُ : أنَّ تحتَهُ جاريةً هيَ أُمُّهُ وهوَ لا يعرفُ .

واستقصاءُ أبوابِ التَّعبيرِ يزيدُكَ أُنساً بهٰذا الجنسِ ، فلا يمكنُني الاشتغالُ بعدَ هٰذا .

❁ ❁ ❁

بل أقولُ : كما أنَّ في الموجوداتِ العاليةِ الرُّوحانيَّةِ ما مثالُهُ الشَّمسُ والقمرُ والكواكبُ . . فكذٰلكَ فيها ما لهُ أمثلةٌ أُخرىٰ إذا اعتُبِرَتْ منهُ أوصافٌ أُخَرُ سوى النُّورانيَّةِ .

فإن كانَ في تلكَ الموجوداتِ ما هوَ ثابتٌ لا يتغيَّرُ ، وعظيمٌ لا يُستصغَرُ ، ومنهُ تنفجرُ إلىٰ أوديةِ القلوبِ البشريَّةِ مياهُ المعارفِ ، ونفائسُ المُكاشفاتِ . . فمثالُهُ : **الطُّورُ** .

وإن كانَ ثَمَّ موجوداتٌ تتلقَّىٰ تلكَ النَّفائسَ أوَّلاً ، ثُمَّ بعضُهُم بعدَ البعضِ . . فمثالُهُ : **الوادي** .

وإن كانَتِ النَّفائسُ بعدَ اتِّصالِها بالقلوبِ البشريَّةِ تجري مِن قلبٍ إلىٰ قلبٍ . . فهٰذهِ القلوبُ أيضاً أوديةٌ ، ومُفتتَحُ الوادي أيضاً قلوبُ الأنبياءِ عليهِمُ الصَّلاةُ والسَّلامُ ، ثُمَّ العلماءِ ، ثُمَّ مَن بعدَهُم .

فإن كانَتْ هٰذهِ الأوديةُ دونَ الأوَّلِ ، ومنها تَغترِفُ . . فبالحريِّ أن يكونَ الأوَّلُ هوَ : **الواديَ الأيمنَ** ؛ لكثرةِ يُمْنِهِ ، وعُلوِّ درجتِهِ .

وإن كانَ الوادي الأَدْوَنُ يتلقَّىٰ مِن آخرِ درجاتِ الوادي الأيمنِ . . فمُغترَفُهُ **شاطئُ الوادي الأيمنِ** دونَ لُجَّتِهِ ومَبدَئِهِ[1] .

وإن كانَ روحُ النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ سراجاً مُنيراً ، وكانَ ذٰلكَ الرُّوحُ مُقتبَساً بواسطةِ وَحْيٍ ؛ كما قالَ : ﴿ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ ؛ فما منهُ الاقتباسُ . . مثالُهُ : **النَّارُ** .

وإن كانَ المُتلقِّفونَ مِنَ الأنبياءِ بعضُهُم علىٰ مَحضِ التَّقليدِ لِمَا سمِعَهُ ، وبعضُهُم علىٰ حظٍّ مِنَ البصيرةِ . . فمثالُ حظِّ المُقلِّدِ : **الخبرُ** ، ومثالُ حظِّ المُستبصِرِ : **الجَذْوةُ** ، **والقَبَسُ** ، **والشِّهابُ**[2] ؛ فإنَّ صاحبَ الذَّوقِ مُشارِكٌ للنَّبيِّ عليهِ السَّلامُ في بعضِ الأحوالِ ؛ ومثالُ تلكَ المُشارَكةِ : **الاصطِلاءُ**[3] ، وإنَّما يصطلي بالنَّارِ مَن معَهُ النَّارُ ، لا مَن يَسمَعُ خبرَها[4] .

وإن كانَ أوَّلَ مَنزِلِ الأنبياءِ التَّرقِّي إلى العالَمِ المُقدَّسِ عن كُدورةِ الحسِّ والخيالِ . . فمثالُ ذٰلكَ المَنزِلِ : **الوادي المُقدَّسُ** ، وإن كانَ لا يمكنُ وطءُ ذٰلكَ الوادي المُقدَّسِ إلَّا باطِّراحِ الكونَينِ

---

(١) **اللُّجَّة** : الماء الكثير الذي لا يُرىٰ طرفاه .

(٢) **الجَذْوة والشِّهاب** : الجَمْر المشتعِل ، **والقَبَس** : جمرة أو شعلة نار تُقْبَس ؛ أي : يُؤخذ اشتعالها من نار أخرىٰ .

(٣) **الاصْطِلاء** : افتِعال من الصَّلْي ؛ وهو : الشَّيُّ بالنار ، **ومراده هنا** : التدفُّؤ بوهج النار .

(٤) هٰذا المثال وما قبله إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في قصة سيدنا موسىٰ عليه السلام : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، وقولِهِ تعالىٰ : ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ .

ـ أعني : الدُّنيا والآخرةَ ـ والتَّوجُّهِ إلى الواحدِ الحقِّ ، ولأنَّ الدُّنيا والآخِرةَ مُتقابِلتانِ مُتجاذِبتانِ ، وهُما عارضانِ للجوهرِ النُّورانيِّ البشريِّ ؛ يمكنُ اطِّراحُهما مرَّةً ، والتَّلبُّسُ بهِما أُخرىٰ . . فمثالُ اطِّراحِهما عندَ الإحرامِ للتَّوجُّهِ إلىٰ كعبةِ القُدسِ : **خلعُ النَّعلَينِ** (١) .

بل نترقَّىٰ إلىٰ حضرةِ الرُّبوبيَّةِ مرَّةً أُخرىٰ ونقولُ (٢) : إن كانَ في تلكَ الحضرةِ شيءٌ بواسطتِهِ تنتقشُ العلومُ المُفصَّلةُ في الجواهرِ القابلةِ لها . . فمثالُهُ : **القلمُ** .

وإن كانَ في تلكَ الجواهرِ القابلةِ ما بعضُها سابقةٌ إلى التَّلقِّي ، ومنها ينتقلُ إلىٰ غيرِها . . فمثالُها : **اللَّوحُ** ، **والكتابُ** ، **والرَّقُّ المَنشورُ** (٣) .

وإن كانَ فوقَ النَّاقِشِ للعلومِ شيءٌ هوَ مُسخَّرٌ لهُ . . فمثالُهُ : **اليدُ** .

وإن كانَ لهٰذِهِ الحضرةِ المُشتمِلةِ على اليدِ واللَّوحِ ، والقلمِ والكتابِ ترتيبٌ مَنظومٌ . . فمثالُهُ : **الصُّورةُ** .

وإن كانَ يوجدُ للصُّورةِ الإنسيَّةِ نوعُ نسبةٍ وترتيبٍ علىٰ هٰذهِ المُشاكَلةِ . . فهيَ **علىٰ صورةِ الرَّحمٰنِ** ، وفَرْقٌ بينَ أن يُقالَ : علىٰ صورةِ الرَّحمٰنِ ، وبينَ أن يُقالَ : علىٰ صورةِ اللهِ تعالىٰ وتَقدَّسَ ؛ لأنَّ

---

(١) هٰذا المثال إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ في قصة سيدنا موسىٰ عليه السلام : ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ ﴾ .

(٢) قوله : (بل نترقىٰ إلىٰ حضرة الربوبية . . .) عطفٌ علىٰ قوله : (بل أقول : كما أن الموجودات العالية الروحانية . . .) في (ص ٥٤) .

(٣) **الرَّقُّ** : الصحيفة تُتَّخذ من جلد مُرَقَّق أبيض ، **والمنشور** : المبسوط غير المطوي .

الرَّحمةَ الإلـٰهيَّةَ هيَ الَّتي صَوَّرَتِ الحضرةَ الإلـٰهيَّةَ بهـٰذهِ الصُّورةِ .

ثُمَّ أنعمَ علىٰ آدمَ فأعطاهُ صورةً مُختصَرةً جامعةً لجميعِ أصنافِ ما في العالَمِ ؛ حتَّىٰ كأنَّهُ كلُّ ما في العالَمِ ، أو هوَ نسخةٌ مِنَ العالَمِ مُختصَرةٌ ، وصورةُ آدمَ ـ أعني : هـٰذهِ الصُّورةَ ـ مكتوبةٌ بخطِّ اللهِ تعالىٰ ، فهوَ الخطُّ الإلـٰهيُّ الَّذي ليسَ برقْمِ حروفٍ ؛ إذ يتنزَّهُ خطُّهُ عن أن يكونَ رقْماً وحروفاً ؛ كما يتنزَّهُ كلامُهُ عن أن يكونَ صوتاً وحروفاً ، وقلمُهُ عن أن يكونَ خشباً وقَصَباً ، ويدُهُ عن أن تكونَ عظماً ولحماً .

ولولا هـٰذهِ الرَّحمةُ . . لعجزَ الآدميُّ عن معرفةِ ربِّهِ جلَّ وعلا ؛ إذ لا يعرفُ ربَّهُ إلَّا مَن عرفَ نفسَهُ ، فلَمَّا كانَ هـٰذا مِن آثارِ الرَّحمةِ . . صارَ علىٰ صورةِ الرَّحمـٰنِ ، لا علىٰ صورةِ اللهِ تعالىٰ ؛ فإنَّ حضرةَ الإلـٰهيَّةِ غيرُ حضرةِ الرَّحمةِ ، وغيرُ حضرةِ المُلْكِ ، وغيرُ حضرةِ الرُّبوبيَّةِ ؛ ولذٰلكَ أَمرَ باللِّياذِ بجميعِ هـٰذهِ الحضَراتِ ؛ فقالَ تعالىٰ ذِكرُهُ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ ﴾ ، ولولا هـٰذا المعنىٰ . . لكانَ قولُهُ عليهِ السَّلامُ : « إِنَّ ٱللهَ خَلَقَ آدمَ عَلَىٰ صُورَةِ ٱلرَّحْمَـٰنِ »[١] غيرَ مَنظومٍ لفظاً ، بل كانَ ينبغي أن يقولَ : (علىٰ صورتِهِ) ، واللَّفظُ الواردُ في الصَّحيحِ : (الرَّحمـٰنُ)[٢] .

❀ ❀ ❀

---

(١) أخرجه الحارث ابن أبي أسامة كما في « بغية الباحث » (٨٧٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٢/٣٢٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) انظر « فتح الباري » (٥/١٨٣) .

والآنَ تمييزُ حضرةِ المُلْكِ عن حضرةِ الإلـٰهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ يستدعي شرحاً طويلاً ، فلْنتجاوزْ عنهُ .

فيكفيكَ مِنَ الأُنْموذَجِ هـٰذا القَدْرُ ؛ فإنَّ هـٰذا بحرٌ عظيمٌ لا ساحلَ لهُ .

وإن وجدتَ في نفسِكَ نُفوراً عن هـٰذهِ الأمثالِ . . فآنسْ قلبَكَ بقولِهِ سبحانَهُ وتعالىٰ : ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا . . . ﴾ [١٣/١٧] الآيةَ ، وأنَّهُ كيفَ وردَ في التَّفسيرِ : أنَّ (**الماءَ**) : هوَ المعرفةُ والقرآنُ ، و(**الأوديةَ**) : القلوبُ .

خاتمة واعتذار

[في أنَّ ظواهرَ الآياتِ والأحاديثِ مُرادةٌ معَ بواطِنِها]

لا تَظُنَّنَّ مِن هـٰذا الأُنْموذَجِ ، وطريقِ ضربِ الأمثالِ رُخصةً مِنِّي في رفعِ الظَّواهرِ ، واعتقاداً في إبطالِها ؛ حتَّىٰ أقولَ مثلاً : لم يكنْ معَ موسىٰ نعلانِ ، ولم يسمعِ الخطابَ ؛ بقولِهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ ٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ [٢٠/١٢] ، حاشَ للهِ ؛ فإنَّ إبطالَ الظَّواهرِ رأيُ الباطنيَّةِ ، الَّذينَ نظروا بالعينِ العوراءِ إلىٰ أحدِ العالَمَينِ ، ولم يعرفوا المُوازَنةَ بينَ العالَمَينِ ، ولم يفهموا وجهَهُ ؛ كما أنَّ إبطالَ الأسرارِ مَذهَبُ الحَشْويَّةِ .

فالَّذي يجرِّدُ الظَّاهرَ : **حَشْويٌّ** ، والَّذي يجرِّدُ الباطنَ : **باطنيٌّ** ، والَّذي يجمعُ بينَهُما : **كاملٌ** ؛ ولذلكَ قالَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ

وسلَّمَ : « لِلْقُرْآنِ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ ، وَحَدٌّ وَمَطْلَعٌ »[1] ، وربَّما نُقِلَ هـٰذا عن عليٍّ رضيَ اللهُ عنهُ موقوفاً عليهِ .

❁ ❁ ❁

بل أقولُ : فهِمَ موسىٰ عليهِ السَّلامُ مِنَ الأمرِ بخلعِ النَّعلَينِ : اطِّراحَ الكونَينِ ، فامتثلَ الأمرَ ظاهراً بخلعِ نعلَيهِ ، وباطناً باطِّراحِ العالَمَينِ ، **وهـٰذا هوَ الاعتبارُ** ؛ أي : العبورُ مِنَ الشَّيءِ إلىٰ غيرِهِ ، ومِنَ الظَّاهِرِ إلى السِّرِّ .

وفَرْقٌ بينَ مَن يَسمَعُ قولَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « لَا تَدْخُلُ ٱلْمَلَائِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ أَوْ صُورَةٌ »[2] ، فيقتني الكلبَ في البيتِ ، ويقولُ : ليسَ الظَّاهرُ مُراداً ، بلِ المُرادُ تخليةُ بيتِ القلبِ عن كلبِ الغضبِ ؛ لأنَّهُ يمنعُ المعرفةَ الَّتي هيَ مِن أنوارِ الملائكةِ ؛ إذِ الغضبُ غَوْلُ العقلِ[3] ، وبينَ مَن يمتثلُ الأمرَ في الظَّاهرِ ، ثُمَّ يقولُ : الكلبُ ليسَ كلباً لصورتِهِ ، بل لمعناهُ ؛ وهوَ : السَّبُعيَّةُ والضَّراوةُ ، فإذا كانَ حفظُ البيتِ الَّذي هوَ مَقرُّ الشَّخصِ والبدنِ واجِباً عن صورةِ الكلبِ . . فبأن يجبَ حفظُ بيتِ القلبِ ـ وهوَ مَقرُّ الجوهرِ الحقيقيِّ الخاصِّ ـ عن شرِّ الكلبيَّةِ[4] أَولىٰ ، فأنا أجمعُ

---

(١) أخرجه أبو يعلىٰ في « المسند » (٥١٤٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بلفظ : « إن القرآن نزل علىٰ سبعة أحرف ، لكل آية منها ظهر وبطن ، ولكل حد مطلع » ، وقوله : « **لكل حد مطلع** » أي : مَصْعد يُصعَد إليه من معرفة علمه ؛ ويُقال : **المَطْلع** : الفهمُ .

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٢٢) ، ومسلم (٢١٠٦) عن سيدنا أبي طلحة رضي الله عنه .

(٣) **غَوْل العقل** : ذهابه وتغطيته .

(٤) في (أ ، ب) : (سر الكلبية) .

بينَ الظَّاهِرِ والسِّرِّ جميعاً ، **فهٰذا هوَ الكامِلُ** ، وهوَ المَعنيُّ بقولِهِمْ : (الكامِلُ مَن لا يُطفِئُ نورُ معرفتِهِ نورَ ورعِهِ) .

ولذٰلكَ نرى الكامِلَ لا تسمحُ نفسُهُ بتركِ حدٍّ مِن حدودِ الشَّرعِ معَ كمالِ البصيرةِ ، وهٰذهِ مَغْلَطَةٌ يقعُ منها بعضُ السَّالكينَ إلى الإباحةِ ، وطيِّ بِساطِ الأحكامِ ظاهراً ؛ حتَّىٰ إنَّهُ ربَّما تركَ أحدُهُمُ الصَّلاةَ ، وزعمَ أنَّهُ دائماً في الصَّلاةِ بسرِّهِ .

وليسَ هٰذا سوىٰ مَغْلَطَةِ الحمقىٰ مِنَ الإباحيَّةِ ، الَّذينَ تأخذُهُم تُرَّهاتٌ (١) ؛ كقولِ بعضِهِم : (إنَّ اللهَ غنيٌّ عن عملِنا) ، وقولِ بعضِهِم : (إنَّ الباطنَ مشحونٌ بالخبائثِ ليسَ يمكنُ تزكيتُهُ ، ولا مَطمَعَ في استئصالِ الغضبِ والشَّهوةِ) لظنِّهِ أنَّهُ مأمورٌ باستئصالِهِما ، وهٰذهِ حماقاتٌ .

وأمَّا ما ذكرْناهُ . . فهوَ كَبْوَةُ جوادٍ ، وهَفْوةُ سالكٍ حسدَهُ الشَّيطانُ ، فدلَّاهُ بحبلِ الغرورِ .

❀ ❀ ❀

وأرجعُ إلىٰ حديثِ النَّعلَينِ فأقولُ : ظاهِرُ خلعِ النَّعلَينِ منهُ مُنبِّهٌ علىٰ تركِ الكونَينِ ، فالمثالُ في الظَّاهِرِ حقٌّ ، وأداؤُهُ إلى السِّرِّ الباطنِ حقيقةٌ ، ولكلِّ حقٍّ حقيقةٌ ، وأهلُ هٰذا التَّنبيهِ هُمُ الَّذينَ بلغوا درجةَ الزُّجاجةِ ـ كما سيأتي معنى الزُّجاجةِ إن شاءَ اللهُ

---

(١) التُّرَّهات : جمع تُرَّهة ؛ وهي : الباطل ، أو الطريق غير الجادَّة .

عزَّ وجلَّ [١] ـ لأنَّ الخيالَ الَّذي مِن طينتِهِ يُتَّخَذُ المثالُ صلبٌ كثيفٌ ، يحجبُ الأسرارَ ، ويحولُ بينَكَ وبينَ الأنوارِ ، ولٰكن إذا صفا حتَّىٰ صارَ كالزُّجاجِ الصَّافي . . صارَ غيرَ حائلٍ عنِ الأنوارِ ، بل صارَ معَ ذٰلكَ مُؤدِّياً للأنوارِ ، بل صارَ معَ ذٰلكَ حافِظاً للأنوارِ عنِ الانطفاءِ بعواصفِ الرِّياحِ ، وستأتيكَ قصَّةُ الزُّجاجةِ إن شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ [٢] .

فاعلمْ : أنَّ العالَمَ الكثيفَ الخياليَّ السُّفْليَّ صارَ في حقِّ الأنبياءِ زجاجةً ، ومِشكاةً للأنوارِ ، ومِصفاةً للأسرارِ ، ومِرقاةً إلى العالَمِ الأعلىٰ .

وبهٰذا يُعرَفُ أنَّ المثالَ الظَّاهِرَ حقٌّ ، ووراءَهُ سرٌّ ، وقسْ علىٰ هٰذا النَّارَ والطُّورَ وغيرَهُما .

دقيقة

[في كيفيَّةِ إبصارِ الأنبياءِ الصُّوَرَ ، ومشاهدتِهِمُ المعانيَ مِن ورائِها]

إذا قالَ الرَّسولُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « رَأَيْتُ عَبْدَ ٱلرَّحْمَٰنِ بْنَ عَوْفٍ يَدْخُلُ ٱلْجَنَّةَ حَبْواً » [٣] . . فلا تَظُنَّنَّ أنَّهُ لم يشاهدْ ذٰلكَ بالبصرِ كذٰلكَ ، بل رآهُ في يقظتِهِ كما يراهُ النَّائمُ في نومِهِ وإن كانَ عبدُ الرَّحمٰنِ مثلاً نائماً في بيتِهِ بشخصِهِ ؛ فإنَّ

---

(١) انظر ما سيأتي (ص ٦٩ ـ ٧٠) .

(٢) انظر ما سيأتي (ص ٧٠) .

(٣) أخرجه أحمد (٢٥٤٨٢) عن سيدتنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .

النَّومَ إنَّما أثَّرَ في أمثالِ هٰذهِ المُشاهداتِ ؛ لقهرِهِ سلطانَ الحواسِّ عنِ النُّورِ الباطنِ الإلٰهيِّ ، فإنَّ الحواسَّ شاغلةٌ لهُ ، وجاذبةٌ إيَّاهُ إلىٰ عالَمِ الحسِّ ، وصارفةٌ وجهَهُ عن عالَمِ الغيبِ والملكوتِ .

وبعضُ الأنوارِ النَّبويَّةِ قد يستعلي ويستولي ؛ بحيثُ لا تستجرُّهُ الحواسُّ إلىٰ عالَمِها ، ولا تشغلُهُ ؛ فيشاهدُ في اليقظةِ ما يشاهدُ غيرُهُ في المنامِ ، ولٰكنَّهُ إذا كانَ في غايةِ الكمالِ . . لم يقتصرْ إدراكُهُ علىٰ محضِ الصُّورةِ المُدرَكةِ المُبصَرةِ ، بل عَبَرَ منها إلى السِّرِّ ؛ فانكشفَ لهُ : أنَّ الإيمانَ جاذبٌ إلى العالَمِ الَّذي يُعبَّرُ عنهُ بالجنَّةِ ؛ وهوَ العالَمُ الأعلىٰ ، والغنىٰ والثَّروةُ جاذبانِ إلى الحياةِ الحاضرةِ ؛ وهيَ العالَمُ الأسفلُ .

فإن كانَ الجاذبُ إلىٰ أشغالِ الدُّنيا أقوىٰ ، أو مُقاوماً للجاذبِ الآخرِ . . صدَّ عنِ المسيرِ إلى الجنَّةِ ، وإن كانَ جاذبُ الإيمانِ أقوىٰ . . أورثَ عُسراً وبُطئاً في سَيرِهِ ، فيكونُ مثالُهُ في عالَمِ الشَّهادةِ : **الحَبْوَ** .

فكذٰلكَ تَتجلَّىٰ لهُ أنوارُ الأسرارِ مِن وراءِ زجاجاتِ الخيالِ .

وكذٰلكَ لا يقتصرُ في حكمِهِ علىٰ عبدِ الرَّحمٰنِ وإن كانَ إبصارُهُ مَقصوراً عليهِ ، بل يُحكَمُ بهِ علىٰ كلِّ مَن قويَتْ بصيرتُهُ ، واستحكمَ إيمانُهُ ، وكَثُرَتْ ثروتُهُ كثرةً تُزاحِمُ الإيمانَ ، لٰكن لا تقاومُهُ لرُجحانِ قوَّةِ الإيمانِ .

فهٰذا يعرِّفُكَ كيفيَّةَ إبصارِ الأنبياءِ الصُّورَ ، وكيفيَّةَ مُشاهدتِهِمُ المعانيَ مِن وراءِ الصُّورِ .

والأغلبُ : أنَّهُ يكونُ المعنىٰ سابقاً إلى المُشاهَدةِ الباطنةِ ، ثمَّ يشرقُ منها على الرُّوحِ الخياليِّ ، فينطبعُ الخيالُ بصورةٍ مُوازِيةٍ للمعنىٰ ، مُحاكِيةٍ لهُ .

وهٰذا النَّمطُ مِنَ الوحيِ في اليقظةِ يفتقرُ إلى التَّأويلِ ؛ كما أنَّهُ في النَّومِ يفتقرُ إلى التَّعبيرِ .

والواقعُ منهُ في النَّومِ نسبتُهُ إلى الخواصِّ النَّبويَّةِ نسبةُ الواحدِ إلىٰ ستَّةٍ وأربعينَ [1] ، والواقعُ في اليقظةِ نسبتُهُ أعظمُ مِن ذٰلكَ ، ويُظَنُّ أنَّ نسبتَهُ إليهِ نسبةُ الواحدِ إلى الثَّلاثةِ ؛ فإنَّ الَّذي انكشفَ لنا مِنَ الخواصِّ النَّبويَّةِ تنحصرُ شُعَبُها في ثلاثةِ أجناسٍ ، وهٰذا واحدٌ مِن تلكَ الأجناسِ الثَّلاثةِ .

❋ ❋ ❋

(١) أخرج البخاري (٦٩٨٧) ، ومسلم (٢٢٦٤) عن سيدنا عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » .

القطب الثّاني

في بيان مراتب الأرواح البشريّة النّورانيّة

إذ بمعرفتِها تُعرَفُ أمثلةُ القرآنِ .

فالأوّلُ منها : الرُّوحُ الحسَّاسُ ؛ وهوَ الَّذي يَتلقَّىٰ ما توردُهُ الحواسُّ الخمسُ ، وكأنَّهُ أصلُ الرُّوحِ الحيوانيّ وأوَّلُهُ ؛ إذ يصيرُ بهِ الحيوانُ حيواناً ، وهوَ موجودٌ للصَّبيّ الرَّضيعِ .

❀ ❀ ❀

الثَّاني : الرُّوحُ الخياليُّ ؛ وهوَ الَّذي يستثبتُ ما أوردَتْهُ الحواسُّ ، ويحفظُهُ مخزوناً عندَهُ ؛ ليعرضَهُ على الرُّوحِ العقليّ الَّذي فوقَهُ عندَ الحاجةِ إليهِ .

وهـٰذا لا يوجدُ للصَّبيِّ الرَّضيعِ في بدايةِ نُشوئِهِ ؛ ولذٰلكَ يُولَعُ بالشَّيءِ ليأخذَهُ ، فإذا غُيِّبَ عنهُ . . نسيَهُ ، ولم تُنازِعْهُ نفسُهُ إليهِ ، إلىٰ أن يكبرَ قليلاً ؛ فيصيرُ بحيثُ إذا غُيِّبَ عنهُ . . بكىٰ وطلبَهُ ؛ لبقاءِ صورتِهِ محفوظةً في خيالِهِ .

وهـٰذا قد يوجدُ لبعضِ الحيواناتِ دونَ بعضٍ ، ولا يوجدُ للفراشِ المُتهافتِ على النَّارِ ؛ لأنَّهُ يقصدُ النَّارَ لشغفِهِ بضياءِ النَّهارِ ، فيظُنُّ أنَّ السِّراجَ كَوَّةٌ مفتوحةٌ إلىٰ مَوضِعِ الضِّياءِ ، فيلقي نفسَهُ عليهِ ، فيتأذَّىٰ بهِ ، لـٰكنَّهُ إذا جاوزَهُ وحصلَ في مَوضِعِ الظُّلمةِ . . عاودَهُ مرَّةً

بعدَ أُخرىٰ ، ولو كانَ لهُ الرُّوحُ الحافِظُ المُستثبِتُ لِمَا أدَّاهُ الحسُّ إليهِ مِنَ الألمِ . . لَمَا عاودَهُ بعدَ أن تضرَّرَ بهِ مرَّةً ، فالكلبُ إذا ضُرِبَ مرَّةً بالخشبةِ ؛ فإذا رأىٰ تلكَ الخشبةَ في يدِ أحدٍ بعدَ ذٰلكَ مِن بُعْدٍ . . هربَ .

❀ ❀ ❀

الثَّالثُ : **الرُّوحُ العقليُّ** ؛ الَّذي بهِ تُدرَكُ المعاني الخارِجةُ عنِ الحسِّ والخيالِ ؛ وهوَ الجوهرُ الإنسيُّ الخاصُّ ، ولا يوجدُ للبهائمِ ، ولا للصِّبيانِ ، ومُدرَكاتُهُ المعارفُ الكلِّيَّةُ الضَّروريَّةُ ؛ كما ذكرْناهُ عندَ ترجيحِ نورِ العقلِ علىٰ نورِ العينِ[1] .

❀ ❀ ❀

الرَّابعُ : **الرُّوحُ الفكريُّ** ؛ وهوَ الَّذي يأخذُ المعارفَ العقليَّةَ المحضةَ ، فيوقعُ بينَها تأليفاتٍ وازدواجاتٍ ، ويستنتجُ منها معارفَ شريفةً ، ثُمَّ إذا استفادَ نتيجتَينِ مثلاً . . ألَّفَ بينَهُما مرَّةً أُخرىٰ ، واستفادَ نتيجةً أُخرىٰ ، ولا يزالُ يتزايدُ كذٰلكَ إلىٰ غيرِ نهايةٍ .

❀ ❀ ❀

الخامسُ : **الرُّوحُ القُدْسيُّ النَّبويُّ** ؛ الَّذي يختصُّ بهِ الأنبياءُ وبعضُ الأولياءِ ، وفيهِ تتجلَّىٰ لوائحُ الغيبِ ، وأحكامُ الآخرةِ ، وجملةٌ مِن معارفِ ملكوتِ السَّماواتِ والأرضِ ، بل مِنَ المعارفِ

---

(١) انظر ما تقدم (ص ٢٣) .

الرَّبَّانيَّةِ الَّتي يقصُرُ دونَها الرُّوحُ العقليُّ والفكريُّ ، وإليهِ الإشارةُ بقولِهِ تعالىٰ : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ . . . ﴿٥٣﴾ ﴾ .

ولا يبعُدُ ـ أيُّها المُعتكِفُ في عالَمِ العقلِ ـ أن يكونَ وراءَ العقلِ طَورٌ آخَرُ ، يظهرُ فيهِ ما لا يظهرُ في عالَمِ العقلِ ؛ كما لا يبعُدُ كونُ العقلِ طَوراً وراءَ التَّمييزِ والإحساسِ ، تنكشفُ فيهِ غرائبُ وعجائبُ ، يقصُرُ عنها الإحساسُ والتَّمييزُ ، ولا تجعلْ أقصى الكمالِ وَقفاً علىٰ نفسِكَ .

وإن أردتَ مثالاً ممَّا تشاهدُهُ مِن جملةِ خواصِّ بعضِ البشرِ . . فانظرْ إلىٰ ذَوْقِ الشِّعرِ كيفَ يختصُّ بهِ قومٌ مِنَ النَّاسِ وهوَ نوعُ إحساسٍ وإدراكٍ ، ويُحرَمُ عنهُ بعضُهُم ؛ حتَّىٰ لا تَتميَّزُ عندَهُمُ الألحانُ الموزونةُ مِنَ المُنْزَحِفةِ .

وانظرْ كيفَ عظُمَتْ قوَّةُ الذَّوْقِ في طائفةٍ حتَّى استخرجوا بها الموسيقا والأغانيَ والأوتارَ وصنوفَ الدَّسْتاناتِ (١) ؛ الَّتي منها المُحزِنُ ، ومنها المُطرِبُ ، ومنها المُنوِّمُ ، ومنها المُضحِكُ ، ومنها المُجَنِّنُ ، ومنها القاتلُ ، ومنها المُوجِبُ للغَشْيِ .

وإنَّما تقوىٰ هـٰذهِ الآثارُ فيمَن لهُ أصلُ الذَّوْقِ ، وأمَّا العاطلُ عن

---

(١) الدَّسْتانات : كلمة فارسية تعني : النغمات الموسيقية .

خاصِّيَّةِ الذَّوْقِ . . فيشاركُ في سماعِ الصَّوتِ فحسبُ ، وتضعفُ فيهِ هٰذهِ الآثارُ ، وهوَ يتعجَّبُ مِن صاحبِ الوَجْدِ والغَشْيِ ، ولوِ اجتمعَ العقلاءُ كلُّهُم مِن أربابِ الذَّوْقِ علىٰ تفهيمِهِ معنى الذَّوْقِ . . لم يقدروا عليهِ .

فهٰذا مثالٌ في أمرٍ خسيسٍ[1] ، لٰكنَّهُ قريبٌ إلىٰ فهمِكَ ، فقسْ بهِ الذَّوْقَ الخاصَّ النَّبويَّ ، واجتهدْ أن تصيرَ مِن أهلِ الذَّوْقِ بشيءٍ مِن ذٰلكَ الرُّوحِ ؛ فإنَّ للأولياءِ منهُ حظّاً وافراً .

فإن لم تقدرْ . . فاجتهدْ أن تصيرَ بالأقيسةِ الَّتي ذكرْناها ، والتَّنبيهاتِ الَّتي رمزْنا إليها : مِن أهلِ العِلمِ بها .

فإن لم تقدرْ . . فلا أقلَّ مِن أن تكونَ مِن أهلِ الإيمانِ بها ، و﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ (٥٨/١١) ، والعِلمُ فوقَ الإيمانِ ، والذَّوْقُ فوقَ العِلمِ ؛ فالذَّوْقُ : **وِجْدانٌ** ، والعِلمُ : **قياسٌ وعِرفانٌ** ، والإيمانُ : **قَبولٌ مُجرَّدٌ بالتَّقليدِ ، وحسْنِ الظَّنِّ بأهلِ الوِجْدانِ ، أو بأهلِ العِرفانِ** .

❁ ❁ ❁

فإذا عرفتَ هٰذهِ الأرواحَ الخمسةَ . . فاعلمْ : أنَّها بجملتِها أنوارٌ ؛ إذ بها تظهرُ أصنافُ الموجوداتِ .

والحسِّيُّ والخياليُّ منها ؛ وإن كانَتْ تشاركُ البهائمُ الإنسانَ

---

(١) في (ب) : (حسي) .

في جنسِها . . لٰكنَّ الَّذي للإنسانِ منها نَمَطٌ آخَرُ أشرفُ وأعلىٰ ، وخُلِقَ الإنسانُ لأجلِ غرضٍ أجلَّ وأسمىٰ ، أمَّا الحيواناتُ . . فلم يُخلَقْ ذٰلكَ لها إلَّا ليكونَ آلتَها في طلبِ غذائِها ، وفي تسخيرِها للآدميّ .

وإنَّما خُلِقَتْ للآدميّ ؛ لتكونَ لهُ شبكةً يقتنصُ بها مِنَ العالَمِ الأسفلِ مبادئَ المعارفِ الدِّينيَّةِ الشَّريفةِ ؛ إذِ الإنسانُ إذا أدركَ بالحسِّ شخصاً معيَّناً . . اقتبسَ عقلُهُ منهُ معنىً عامّاً مُطلَقاً ؛ كما ذكرْناهُ في مثالِ (حَبْوِ عبدِ الرَّحمٰنِ بنِ عوفٍ)[1] .

فإذا عرفتَ هٰذهِ الأرواحَ الخمسةَ . . فلْنرجعْ إلىٰ عرضِ الأمثلةِ .

* * *

(١) انظر ما تقدم (ص ٦١ ـ ٦٢) .

بيان أمثلة هٰذه الآية[1]

اعلم : أنَّ القولَ في موازنةِ هٰذهِ الأرواحِ الخمسةِ للمِشكاةِ والزُّجاجةِ والمِصباحِ والشَّجرةِ والزَّيتِ . . يمكنُ تطويلُهُ ، لٰكنِّي أوجزُهُ ، وأقتصرُ على التَّنبيهِ علىٰ طريقِهِ ، **فأقولُ** :

أمَّا الرُّوحُ الحسَّاسُ ؛ فإذا نظرتَ إلىٰ خاصِّيَّتِهِ . . وجدتَ أنوارَهُ خارجةً مِن ثُقُبٍ عِدَّةٍ ؛ كالعينَينِ والأُذنَينِ والمَنْخِرَينِ وغيرِها ، فأوفَقُ مثالٍ لهُ مِن عالَمِ الشَّهادةِ : **المِشكاةُ** .

❀ ❀ ❀

وأمَّا الرُّوحُ الخياليُّ . . فتجدُ لهُ خواصَّ ثلاثاً :

إحداها : أنَّهُ مِن طينةِ العالَمِ السُّفْليِّ الكثيفِ ؛ لأنَّ الشَّيءَ المُتخيَّلَ ذو مِقدارٍ وشكلٍ وجهاتٍ محصورةٍ مخصوصةٍ ، وهوَ علىٰ نسبةٍ مِنَ المُتخيِّلِ مِن قُرْبٍ أو مِن بُعْدٍ ، ومِن شأنِ الكثيفِ الموصوفِ بأوصافِ الأجسامِ . . أن يُحجَبَ عنِ الأنوارِ العقليَّةِ المحضةِ ، الَّتي تَتنزَّهُ عنِ الوصفِ بالجهاتِ والمقاديرِ ، والقُرْبِ والبُعْدِ .

الثَّانيةُ : أنَّ هٰذا الخيالَ الكثيفَ إذا صُفِّيَ ورُقِّقَ ، وهُذِّبَ وضُبِطَ . . صارَ مُوازِياً للمعاني العقليَّةِ ، ومُؤدِّياً لأنوارِها ، وغيرَ حائلٍ عن إشراقِ نورِها منها .

---

(١) أي : قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ . . . ﴾ .

الثَّالثةُ : أنَّ هٰذا الخيالَ في بدايةِ الأمرِ مُحتاجٌ إليهِ جدّاً ؛ ليُضبَطَ بهِ المعارفُ العقليَّةُ ، فلا تضطربَ ، ولا تتزلزلَ ، ولا تنتشرَ انتشاراً يخرجُ عنِ الضَّبطِ ، فنِعمَ المُعِينُ المثالاتُ الخياليَّةُ للمعارفِ العقليَّةِ .

وهٰذهِ الخواصُّ الثَّلاثُ لا تجدُها في عالَمِ الشَّهادةِ بالإضافةِ إلى الأنوارِ المُبصَرةِ إلَّا **للزُّجاجةِ** ؛ فإنَّها في الأصلِ مِن جوهرٍ كثيفٍ ، لٰكن صُفِّيَ ورُقِّقَ حتَّىٰ صارَ لا يحجبُ نورَ المِصباحِ ، بل يؤدِّيهِ علىٰ وجهِهِ ، ثُمَّ يحفظُهُ عنِ الانطفاءِ بالرِّياحِ العاصفةِ ، والحركاتِ العنيفةِ ، فهيَ أوفَقُ مثالٍ لهُ .

❀ ❀ ❀

وأمَّا الثَّالثُ : **وهوَ الرُّوحُ العقليُّ** ؛ الَّذي بهِ إدراكُ المعارفِ الشَّريفةِ الإلٰهيَّةِ . . فلا يخفىٰ عليكَ وجهُ تمثيلِهِ **بالمِصباحِ** ، وقد عرفتَ هٰذا فيما سبقَ مِن بيانِ معنىٰ كونِ الأنبياءِ سُرُجاً مُنيرةً [1] .

❀ ❀ ❀

وأمَّا الرَّابعُ : **وهوَ الرُّوحُ الفكريُّ** ، **فمِن خاصِّيَّتِهِ** : أنَّهُ يبتدئُ مِن أصلٍ واحدٍ ، ثُمَّ تتشعَّبُ منهُ شُعبتانِ ، ثُمَّ مِن كلِّ شُعبةٍ شُعبتانِ . . . وهٰكذا إلىٰ أن تكثرَ الشُّعَبُ بالتَّقسيماتِ العقليَّةِ ، ثُمَّ يفضي بالآخِرةِ إلىٰ نتائجَ هيَ ثمراتُها ، ثُمَّ تلكَ الثَّمراتُ تعودُ فتصيرُ بذوراً

---

(١) انظر ما تقدم (ص ٣١) .

لأمثالِها ؛ إذ يمكنُ أيضاً تلقيحُ بعضِها بالبعضِ ، حتَّىٰ يتمادىٰ إلىٰ ثمراتٍ وراءَها ؛ كما ذكرْناهُ في كتابِ « القِسطاسِ المُستقيمِ »[1] . . فبالحريِّ أن يكونَ مثالُهُ مِن هـٰذا العالَمِ : **الشَّجرةَ** .

وإذا كانَتْ ثمراتُها أيضاً مادَّةً لتضاعفِ أنوارِ المعارفِ وثباتِها وبقائِها . . فبالحريِّ ألَّا تُمثَّلَ بشجرةِ السَّفَرْجَلِ والتُّفَّاحِ والرُّمَّانِ وغيرِها ، بل مِن جملةِ سائرِ الأشجارِ **بالزَّيتونةِ** خاصَّةً ؛ لأنَّ لُبَّ ثمرتِها هوَ الزَّيتُ الَّذي هوَ مادَّةُ المصابيحِ ، ويختصُّ مِن بينِ سائرِ الأدهانِ بخاصِّيَّةِ زيادةِ الإشراقِ معَ قِلَّةِ الدُّخانِ .

وإذا كانَتِ الماشيةُ الَّتي يكثرُ نسلُها ، والشَّجرةُ الَّتي تكثرُ ثمرتُها تُسمَّىٰ مُبارَكةً . . فالَّتي لا تتناهىٰ ثمرتُها إلىٰ حدٍّ محدودٍ أَولىٰ بأن تُسمَّىٰ : **شجرةً مُبارَكةً** .

وإذا كانَتْ شُعَبُ الأفكارِ العقليَّةِ المحضةِ خارجةً عن قَبولِ الإضافةِ إلى الجهاتِ والقُرْبِ والبُعْدِ . . فبالحريِّ أن تكونَ **لا شرقيَّةً ولا غربيَّةً** .

❁ ❁ ❁

وأمَّا الخامسُ : وهوَ الرُّوحُ القُدْسيُّ النَّبويُّ ، والمنسوبُ إلى الأولياءِ ؛ إذا كانَ في غايةِ الشَّرفِ والصَّفاءِ[2] ، وكانَتِ الرُّوحُ المُفكِّرةُ مُنقسِمةً إلىٰ : ما يحتاجُ إلىٰ تعليمٍ ، وتنبيهٍ ، ومددٍ مِن

---

(١) القسطاس المستقيم (ص ٦٧) .

(٢) في (ب) : (غاية الشروق والصفاء) .

خارجٍ حتَّىٰ يستمرَّ في أنوارِ المعارفِ ، وبعضُها يكونُ في شدَّةِ الصَّفاءِ كأنَّهُ يتنبَّهُ مِن نفسِهِ بغيرِ مددٍ مِن خارجٍ . . فبالحريِّ أن تعبِّرَ عنِ الصَّافي البالغِ الاستعدادِ بأنَّهُ : **يكادُ زيتُهُ يضيءُ ولو لم تمسسْهُ نارٌ** ؛ إذ في الأولياءِ مَن يكادُ يشرقُ نورُهُ حتَّىٰ يكادُ يستغني عن مددِ الأنبياءِ ، وفي الأنبياءِ مَن يَكادُ ضَوءُهُ يستغني عن مددِ الملائكةِ ، فهٰذا المثالُ مُوافِقٌ لهٰذا القِسْمِ .

وإذا كانَتْ هٰذهِ الأنوارُ مُرتَّبةً بعضُها علىٰ بعضٍ ؛ فالحسِّيُّ هوَ الأوَّلُ ، وهوَ كالتَّوطِئةِ والتَّمهيدِ للرُّوحِ الخياليِّ ؛ إذ لا يُتصوَّرُ الخياليُّ إلَّا موضوعاً بعدَهُ ، والفكريُّ والعقليُّ يكونُ موضوعاً بعدَهُما . . فبالحريِّ أن تكونَ الزُّجاجةُ كالمحلِّ للمِصباحِ ، والمِشكاةُ كالمحلِّ للزُّجاجةِ ، **فيكونَ المِصباحُ في زجاجةٍ ، والزُّجاجةُ في مِشكاةٍ** .

وإذا كانَتْ هٰذهِ كلُّها أنواراً بعضُها فوقَ بعضٍ . . فبالحريِّ أن تكونَ **نوراً علىٰ نورٍ** .

خاتمة

[في أنَّ المثالَ السَّابِقَ لا يصحُّ إلَّا لقلوبِ المؤمنينَ]

هٰذا المثالُ إنَّما يصحُّ لقلوبِ المؤمنينَ ، أو لقلوبِ الأنبياءِ والأولياءِ ، لا لقلوبِ الكفَّارِ ؛ فإنَّ النُّورَ يُرادُ للهدايةِ ، والمَصروفُ عن طريقِ الهدىٰ باطلٌ وظلمةٌ ، بل أشدُّ مِنَ الظُّلمةِ ؛ لأنَّ الظُّلمةَ لا تهدي إلى الباطلِ ، كما لا تهدي إلى الحقِّ ، وعقولُ الكفَّارِ

انتكسَتْ ؛ ولذٰلكَ . . سائرُ إدراكاتِهِم تعاونَتْ على الإضلالِ في حقِّهِم ؛ فمثالُهُم : كرجلٍ في بحرٍ لجِّيٍّ يغشاهُ موجٌ مِن فوقِهِ موجٌ مِن فوقِهِ سحابٌ ، ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعضٍ ، **والبحرُ اللُّجِّيُّ** : هوَ الدُّنيا بما فيها مِنَ الأخطارِ المُهلِكةِ ، والأشغالِ المُرديةِ ، والكدوراتِ المُعْمِيةِ .

والموجُ الأوَّلُ : موجُ الشَّهواتِ الدَّاعيةِ إلى الصِّفاتِ البهيميَّةِ ، والاشتغالِ باللَّذَّاتِ الحسِّيَّةِ ، وقضاءِ الأوطارِ الدُّنيويَّةِ حتَّىٰ يأكلوا ويتمتَّعوا كما تأكلُ الأنعامُ ، فبالحريِّ أن يكونَ هٰذا الموجُ مُظلِماً ؛ لأنَّ حُبَّ الشَّيءِ يعمي ويصمُّ .

والموجُ الثَّاني : موجُ الصِّفاتِ السَّبُعيَّةِ الباعثةِ على الغضبِ والعداوةِ والبغضاءِ ، والحقدِ والحسدِ ، والمُباهاةِ والتَّفاخرِ والتَّكاثرِ ، وبالحريِّ أن يكونَ مُظلِماً ؛ لأنَّ الغضبَ غَوْلُ العقلِ ، وبالحريِّ أن يكونَ هوَ الموجَ الأعلىٰ ؛ لأنَّ الغضبَ في الأكثرِ مُستَولٍ على الشَّهواتِ ، حتَّىٰ إذا هاجَ . . أذهلَ عنِ الشَّهواتِ ، وأغفلَ عنِ اللَّذَّاتِ المُشتهاةِ ، وأمَّا الشَّهوةُ . . فلا تقاومُ الغضبَ الهائجَ أصلاً .

وأمَّا السَّحابُ . . فهوَ الاعتقاداتُ الخبيثةُ ، والظُّنونُ الكاذبةُ ، والخيالاتُ الفاسدةُ ، الَّتي صارَتْ حجاباً بينَ الكافرِ وبينَ الإيمانِ ، ومعرفةِ الحقِّ ، والاستضاءةِ بنورِ شمسِ القرآنِ والعقلِ ؛ فإنَّ خاصِّيَّةَ السَّحابِ أن يحجبَ إشراقَ نورِ الشَّمسِ .

وإذا كانَتْ هـٰذهِ مُظلِمةً كلَّها . . فبالحريِّ أن تكونَ **ظلماتٍ بعضُها فوقَ بعضٍ** .

وإذا كانَتْ هـٰذهِ الظُّلماتُ تحجبُ عن معرفةِ الأشياءِ القريبةِ فضلاً عنِ البعيدةِ ـ **ولذٰلكَ** حُجِبَ الكفَّارُ عن معرفةِ عجائبِ أحوالِ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ معَ قُرْبِ مُتناوَلِهِ ، وظهورِهِ بأدنىٰ تأمُّلٍ ـ . . فبالحريِّ أن يُعبَّرَ عنهُ بأنَّهُ : **لو أخرجَ يدَهُ . . لم يكدْ يراها** .

وإذا كانَ مَنبَعُ الأنوارِ كلِّها مِنَ النُّورِ الأوَّلِ الحقِّ ـ كما سبقَ بيانُهُ[1] ـ . . فبالحريِّ أن يعتقدَ كلُّ مُوحِّدٍ : **أنَّ مَن لم يجعلِ اللهُ لهُ نوراً . . فما لهُ مِن نورٍ** .

فيكفيكَ هـٰذا القَدْرُ مِن أسرارِ هـٰذهِ الآيةِ ، فاقنعْ بهِ ، والسَّلامُ .

* * *

---

(١) انظر ما تقدم (ص ٣٣) .

الفصل الثّالث

في معنىٰ قوله ﷺ : « إنّ لله تعالىٰ سبعين حجاباً من نورٍ وظلمةٍ لو كشفها .. لأحرقت سبحاتُ وجهه كلَّ ما أدرك بصره »[1]

وفي بعضِ الرِّواياتِ : « سَبْعَ مِئَةٍ » ، وفي بعضِها : « سَبْعِينَ أَلْفاً »[2] .

فأقولُ : إنَّ اللّٰهَ تعالىٰ مُتجَلٍّ في ذاتِهِ لذاتِهِ ، ويكونُ الحجابُ بالإضافةِ إلىٰ محجوبٍ لا محالةَ ، **والمحجوبونَ مِنَ الخَلْقِ ثلاثةُ أقسامٍ** :

منهُم : مَن حُجِبَ بمُجرَّدِ الظُّلمةِ .

ومنهُم : مَن حُجِبَ بالنُّورِ المحضِ .

ومنهُم : مَن حُجِبَ بنورٍ مقرونٍ بظلمةٍ .

وأصنافُ هٰذهِ الأقسامِ كثيرةٌ أتحقَّقُ كثرتَها ، ويمكنُني أن أتكلَّفَ حصرَها في سبعينَ ، لٰكن لا أثقُ بما يلوحُ لي مِن

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩) ، وابن ماجه (٢٠٧) عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بلفظ : « حجابه النور » ، وأخرجه العقيلي في « الضعفاء » (٣/٨٩٨) ، والكلاباذي في « بحر الفوائد » (٧٤٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو وسيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهم بلفظ : « دون الله سبعون حجاباً من نور وظلمة ، وما من نفس تسمع شيئاً من حسّ تلك الحجب إلا زهقت نفسها » ، وقد تقدم تخريجه (ص ١٥) .

(٢) أخرجها أبو يعلىٰ في « المسند » (٧٥٢٥) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٦/١٤٨) عن سيدنا عبد الله بن عمرو وسيدنا سهل بن سعد رضي الله عنهم .

تحديدٍ وحصرٍ ؛ إذ لا أدري أنَّهُ المُرادُ بالحديثِ أم لا .

فأمَّا الحصرُ إلىٰ سبعِ مئةٍ ، وسبعينَ ألفاً . . فذٰلكَ لا تستقلُّ بهِ إلَّا القوَّةُ النَّبويَّةُ ، معَ أنَّ ظاهرَ ظنّي أنَّ هٰذهِ الأعدادَ مذكورةٌ للتَّكثيرِ لا للتَّحديدِ ، وقد تجري العادةُ بذكرِ عددٍ ولا يُرادُ بهِ الحصرُ ، بلِ التَّكثيرُ ، واللهُ أعلمُ بتحقيقِ ذٰلكَ ، فذٰلكَ خارجٌ عنِ الوُسْعِ .

وإنَّما الَّذي يمكنُني الآنَ أن أُعرِّفَكَ هٰذهِ الأقسامَ ، وبعضَ أصنافِ كلِّ قسمٍ ، **فأقولُ** :

القسم الأوّل

هُمُ المحجوبونَ بالظُّلمةِ المحضةِ ؛ وهُمُ المُلحِدةُ الَّذينَ لا يؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ ، وهُمُ الَّذينَ استحبُّوا الحياةَ الدُّنيا على الآخِرةِ ؛ لأنَّهُم لم يؤمنوا بالآخِرةِ أصلاً ؛ **وهٰؤلاءِ صنفانِ** :

صنفٌ : تشوَّقَ إلىٰ طلبِ سببٍ لهٰذا العالَمِ ، فأحالَهُ إلى الطَّبعِ ؛ **والطَّبعُ** : عبارةٌ عن صفةٍ مركوزةٍ في الأجسامِ ، حالَّةٍ فيها ، وهيَ مُظلِمةٌ ؛ إذ ليسَ لها معرفةٌ وإدراكٌ ، ولا خبرَ لها مِن نفْسِها ، ولا ممَّا يصدرُ منها ، وليسَ لها نورٌ يُدرَكُ بالبصرِ الظَّاهرِ أيضاً .

والصِّنفُ الثَّاني : وهُمُ الَّذينَ شُغِلوا بأنفسِهِم ، ولم يتفرَّغوا لطلبِ السَّببِ أيضاً ، بل عاشوا عيشَ البهائمِ ، فكانَ حجابُهُم نفوسَهُمُ الكَدِرةَ ، وشهواتِهِمُ المُظلِمةَ ، ولا ظلمةَ أشدُّ مِنَ الهوىٰ والنَّفْسِ ؛ ولذٰلكَ قالَ اللهُ تعالىٰ : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴿٤٥:٢٣﴾ ﴾ ، وقالَ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « ٱلْهَوَىٰ أَبْغَضُ إِلَٰهٍ عُبِدَ فِي ٱلْأَرْضِ »[1] .

وهٰؤلاءِ انقسموا فِرَقاً :

ففِرقةٌ زعمَتْ : أنَّ غايةَ الطَّلبِ في الدُّنيا هيَ قضاءُ الأوطارِ ، ونيلُ الشَّهواتِ ، وإدراكُ اللَّذَّاتِ البهيميَّةِ ؛ مِن مَنكَحٍ ، ومَطعَمٍ ،

---

(١) أخرجه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٠٣/٨) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه بنحوه .

ومَلبَسٍ ، فهٰؤلاءِ عبيدُ اللَّذَّةِ ، يعبدونَها ويطلبونَها ، ويعتقدونَ أنَّ نيلَها غايةُ السَّعاداتِ ، رضُوا لأنفسِهِم أن يكونوا بمَنزلةِ البهائمِ ، بل أخسَّ منها ، فأيُّ ظلمةٍ أشدُّ مِن ذٰلكَ ؟! فقد حُجِبَ هٰؤلاءِ بمحضِ الظُّلمةِ .

❁ ❁ ❁

وفِرقةٌ رأَتْ : أنَّ غايةَ السَّعاداتِ هيَ الغلبةُ والاستيلاءُ ، والقتلُ والفَتْكُ ، والسَّبيُ والأَسْرُ ، وهٰذا مذهبُ الأعرابِ والأكرادِ وكثيرٍ مِنَ الحمقىٰ ، وهُم محجوبونَ بظلمةِ الصِّفاتِ السَّبُعيَّةِ ؛ لغلبتِها عليهِم ، وكونِ إدراكِ مقصودِها أعظمَ اللَّذَّاتِ عندَهُم ، وهٰؤلاءِ قَنِعوا بأن يكونوا بمَنزلةِ السِّباعِ ، بل أخسَّ .

❁ ❁ ❁

وفِرقةٌ ثالثةٌ زعمَتْ : أنَّ غايةَ السَّعاداتِ في كثرةِ المالِ ، واتِّساعِ اليسارِ ؛ لأنَّ المالَ هوَ آلةُ قضاءِ الشَّهواتِ كلِّها ، وبهِ يحصلُ للإنسانِ الاقتدارُ علىٰ قضاءِ الأوطارِ ، فهٰؤلاءِ همَّتُهُم جمعُ المالِ ، واستكثارُ العقارِ والضِّياعِ والخيلِ المُسوَّمةِ والأنعامِ والحرثِ (١) ، وكنزُ الدَّنانيرِ تحتَ الأرضِ .

فترى الواحدَ يجتهدُ طولَ العمرِ يركبُ الأخطارَ في البوادي والأسفارِ والبحارِ ، ويجمعُ الأموالَ ، ويشحُّ بها علىٰ نفسِهِ فضلاً

---

(١) المُسوَّمة : المُعلَّمة ، أو السائمة التي ترعىٰ في المروج والمراعي .

عن غيرِهِ ، وهُمُ المُرادونَ بقولِهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ : « تَعِسَ عَبْدُ ٱلدِّينَارِ ، تَعِسَ عَبْدُ ٱلدِّرْهَمِ »[١] ، وأيُّ ظلمةٍ أعظمُ ممَّا يلتبسُ على الإنسانِ ؛ أنَّ الذَّهبَ والفضَّةَ حجرانِ لا يُرادانِ لأعيانِهِما ؟! وهيَ إذا لم تُقضَ بها الأوطارُ ، ولم تُنفَقْ . . فهيَ والحصىٰ بمثابةٍ .

❁ ❁ ❁

وفِرقةٌ رابعةٌ ترقَّتْ مِن جهالةِ هٰؤلاءِ وتعاقلَتْ وزعمَتْ : أنَّ أعظمَ السَّعاداتِ في اتِّساعِ الجاهِ والصِّيتِ ، وانتشارِ الذِّكرِ ، وكثرةِ الأتباعِ ، ونفوذِ الأمرِ المُطاعِ .

فتراها لا همَّ لها إلَّا المُراءاةُ ، وعِمارةُ مَطارِحِ[٢] أبصارِ النَّاظرينَ ؛ حتَّىٰ إنَّ الواحدَ قد يجوعُ في بيتِهِ ، ويحتملُ الضُّرَّ ، ويصرفُ مالَهُ إلىٰ ثيابٍ يَتجمَّلُ بها عندَ خروجِهِ ؛ كي لا يُنظَرَ إليهِ بعينِ الحقارةِ .

وأصنافُ هٰؤلاءِ لا يُحصَونَ ، وكلُّهُم محجوبونَ عنِ اللهِ تعالىٰ بالظُّلمةِ المحضةِ ؛ وهيَ نفوسُهُمُ المُظلِمةُ .

ولا معنىٰ في ذِكرِ آحادِ الفِرَقِ بعدَ وقوعِ التَّنبيهِ على الأجناسِ .

ويدخلُ في جملةِ هٰؤلاءِ جماعةٌ يقولونَ بلسانِهِم : لا إلٰهَ إلَّا اللهُ ، لٰكن ربَّما حملَهُم علىٰ ذٰلكَ خوفٌ ، أوِ استِظهارٌ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٣٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) في (ب) : (وعمارة مطامح) .

بالمُسلمينَ وتَجمُّلٌ بهِم ، أوِ استِمدادٌ مِن مالِهِم ، أو لأجلِ التَّعصُّبِ لنصرةِ مذهبِ الآباءِ ، فهٰؤلاءِ إذا لم تحملْهُم هٰذهِ الكلمةُ على العملِ الصَّالحِ . . فلا تخرجُهُمُ الكلمةُ مِنَ الظُّلماتِ إلى النُّورِ ، بل أولياؤُهُمُ الطَّاغوتُ يخرجُونَهُم مِنَ النُّورِ إلى الظُّلماتِ ، أمَّا مَن أَثَّرَتْ فيهِ الكلمةُ ؛ بحيثُ ساءَتْهُ سيِّئةٌ ، وسرَّتْهُ حسنةٌ . . فهوَ خارجٌ عن محضِ الظُّلمةِ وإن كانَ كثيرَ المعصيةِ .

❋ ❋ ❋

القسم الثّاني

طائفةٌ حُجبوا بنورٍ مقرونٍ بظلمةٍ ؛ **وهُم ثلاثةُ أصنافٍ** : صنفٌ مَنشَأُ ظلمتِهِم مِنَ الحسّ ، وصنفٌ مَنشَأُ ظلمتِهِم مِنَ الخيالِ ، وصنفٌ مَنشَأُ ظلمتِهِم مِن مُقايساتٍ عقليَّةٍ فاسدةٍ .

❀ ❀ ❀

الصِّنفُ الأوَّلُ : **المحجوبونَ بالظُّلمةِ الحسّيَّةِ** ؛ وهُم طوائفُ لا يخلو واحدٌ منهُم عن مُجاوَزةِ الالتفاتِ إلىٰ نفسِهِ ، وعنِ التَّألُّهِ والتَّشوُّفِ إلىٰ معرفةِ ربِّهِ ، **فأوَّلُ درجاتِهِم** : عبدةُ الأوثانِ ، **وآخِرُهُم** : الثَّنَويَّةُ ، **وبينَهُما درجاتٌ** .

فالطَّائفةُ الأُولىٰ : **عبدةُ الأوثانِ** ، عَلِموا على الجملةِ : أنَّ لهُم ربّاً يَلزمُهُم إيثارُهُ علىٰ نفوسِهِمُ المُظلِمةِ ، واعتقدوا أنَّ ربَّهُم أعزُّ مِن كلِّ شيءٍ ، وأنفسُ مِن كلِّ نفيسٍ ، ولٰكن حجبَتْهُم ظلمةُ الحسّ عن أن يجاوزوا العالَمَ المحسوسَ ، فاتَّخذوا مِن أنفَسِ الجواهرِ ـ كالذَّهبِ والفضَّةِ والياقوتِ ـ أشخاصاً مُصوَّرةً بأحسنِ الصُّورِ ، واتَّخذوها آلهةً ، **فهٰؤلاءِ محجوبونَ بنورِ العِزَّةِ والجمالِ** ، والعِزَّةُ والجمالُ مِن صفاتِ اللهِ تعالىٰ وأنوارِهِ ، ولٰكنَّهُم ألصقوها بالأجسامِ المحسوسةِ ، وصدَّهُم عن ذٰلكَ ظلمةُ الحسّ ؛ فإنَّ الحسَّ ظلمةٌ بالإضافةِ إلى العالَمِ الرُّوحانيِّ العقليِّ كما سبقَ [١] .

---

(١) انظر ما تقدم (ص ٢٣) .

الطَّائفةُ الثَّانيةُ : جماعةٌ مِن أقاصي التُّرْكِ ، ليسَ لهُم مِلَّةٌ ولا شريعةٌ ، يعتقدونَ أنَّ لهُم ربّاً ، وأنَّهُ أجملُ الأشياءِ ، فإذا رأَوا إنساناً في غايةِ الجمالِ ، أو شجراً ، أو فرساً ، أو غيرَ ذٰلكَ . . سجدوا لهُ ، وقالوا : إنَّهُ ربُّنا ، **فهٰؤلاءِ محجوبونَ بنورِ الجمالِ معَ ظلمةِ الحسِّ** ، وهُم أدخَلُ في ملاحظةِ النُّورِ مِن عبدةِ الأوثانِ ؛ لأنَّهُم يعبدونَ الجمالَ المُطلَقَ دونَ الشَّخصِ الخاصِّ ، فلا يخصِّصونَهُ بشخصٍ ، ثُمَّ يعبدونَ الجمالَ المطبوعَ ، لا المصنوعَ مِن جهتِهِم وبأيديهِم .

❁ ❁ ❁

وطائفةٌ ثالثةٌ قالوا : ينبغي أن يكونَ ربُّنا نورانيّاً في ذاتِهِ ، بهيّاً في صورتِهِ ، ذا سلطانٍ في نفسِهِ ، مَهيباً في حضرتِهِ ، لا يطاقُ القُرْبُ منهُ ، ولٰكن ينبغي أن يكونَ محسوساً ؛ إذ لا معنىٰ لغيرِ المحسوسِ عندَهُم ، ثُمَّ وجدوا النَّارَ بهٰذهِ الصِّفةِ ؛ فعبدوها ، واتَّخذوها ربّاً ، **فهٰؤلاءِ محجوبونَ بنورِ السَّلطَنةِ والبهاءِ** ، وكلُّ ذٰلكَ مِن أنوارِ اللهِ تعالىٰ وتَقدَّسَ .

❁ ❁ ❁

وطائفةٌ رابعةٌ زعموا : أنَّ النَّارَ نستولي عليها نحنُ بالإشعالِ والإطفاءِ ، فهيَ تحتَ تصرُّفِنا ، فلا تصلحُ للإلٰهيَّةِ ، بل ما يكونُ بهٰذهِ الصِّفاتِ ، ولم يكنْ تحتَ تصرُّفِنا ، ثُمَّ نكونُ نحنُ تحتَ تصرُّفِهِ ، ويكونُ معَ ذٰلكَ موصوفاً بالعُلوِّ والارتفاعِ ، ثُمَّ

كانَ المشهورُ فيما بينَهُم عِلمَ النُّجومِ ، وإضافةِ التَّأثيراتِ إليها ؛ **فمنهُم** : مَن عبدَ الشِّعْرىٰ ، **ومنهُم** : مَن عبدَ المُشتري . . . إلىٰ غيرِ ذٰلكَ مِنَ الكواكبِ حسَبَ ما اعتقدوهُ في النُّجومِ مِن كثرةِ التَّأثيراتِ ، **فهٰؤلاءِ محجوبونَ بنورِ العُلُوِّ والإشراقِ والاستيلاءِ** ، وهيَ مِن أنوارِ اللهِ تعالىٰ .

❀ ❀ ❀

وطائفةٌ خامسةٌ : ساعدَتْ هٰؤلاءِ في المَأخَذِ ، ولٰكن قالَتْ : لا ينبغي أن يكونَ ربُّنا مَوسوماً بالصِّغَرِ والكِبَرِ بالإضافةِ إلى الجواهرِ النُّورانيَّةِ ، بل ينبغي أن يكونَ أكبرَها ، فعبدوا الشَّمسَ ، وقالوا : هيَ أكبرُ ، **فهٰؤلاءِ محجوبونَ بنورِ الكِبرياءِ معَ بقيَّةِ الأنوارِ مقروناً بظلمةِ الحسِّ** .

❀ ❀ ❀

وطائفةٌ سادسةٌ : ترقَّوا عن هٰؤلاءِ ، فقالوا : إنَّ النُّورَ كلَّهُ لا تنفردُ بهِ الشَّمسُ ، بل لغيرِها أيضاً نورٌ ، ولا ينبغي للرَّبِّ شريكٌ في نورانيَّتِهِ ، فعبدوا النُّورَ المُطلَقَ الجامعَ لجميعِ أنوارِ العالَمِ ، **وزعموا** : أنَّهُ ربُّ العالَمِينَ ، والخيراتُ كلُّها منسوبةٌ إليهِ ، ثُمَّ رأَوا في العالَمِ شروراً ، فلم يستحسنوا إضافتَها إلىٰ ربِّهِم ؛ تنزيهاً لهُ عنِ الشَّرِّ ، فجعلوا بينَهُ وبينَ الظُّلمةِ مُنازَعةً ، وأحالوا العالَمَ **إلى النُّورِ والظُّلمةِ** ، وربَّما سمَّوهُما : (**يَزْدَان وأَهْرِمَن**) ، **وهُمُ الثَّنَوِيَّةُ** .

فيكفيكَ هٰذا القَدْرُ ؛ تنبيهاً علىٰ هٰذا الصِّنفِ ، فهُم أكثرُ مِن ذٰلكَ الصِّنفِ .

❁ ❁ ❁

الصِّنفُ الثَّاني : المحجوبونَ ببعضِ الأنوارِ مقروناً بظلمةِ الخيالِ ؛ وهُمُ الَّذينَ جاوزوا الحسَّ ، وأثبتوا وراءَ المحسوساتِ أمراً ، لٰكن لم يمكنْهُم مُجاوَزةُ الخيالِ ، فعبدوا موجوداً قاعداً على العرشِ ، **وأخسُّهُم رتبةً** : المُجسِّمةُ ، ثُمَّ أصنافُ الكَرَّاميَّةِ بأجمعِهِم ، ولا يمكنُ شرحُ مقالاتِهِم ومذاهبِهِم ؛ فلا فائدةَ في التَّكثيرِ ، **لٰكن أرفعُهُم درجةً** : مَن نفى الجسميَّةَ وجميعَ عوارِضِها إلَّا الجهةَ ، فخصَّصوها بجهةِ فوقٍ ؛ لأنَّ الَّذي لا يُنسَبُ إلى الجهاتِ ، ولا يُوصَفُ بأنَّهُ خارجَ العالَمِ ، ولا داخلَهُ . . لم يكنْ عندَهُم موجوداً ؛ إذ لم يكنْ مُتخيَّلاً ، ولم يدركوا **أنَّ أوَّلَ درجاتِ المعقولاتِ** : تجاوُزُ النِّسبةِ إلى الجهاتِ .

❁ ❁ ❁

الصِّنفُ الثَّالثُ : المحجوبونَ بالأنوارِ الإلٰهيَّةِ مقرونةً بمُقايساتٍ عقليَّةٍ فاسدةٍ مُظلِمةٍ ، فعبدوا إلٰهاً سميعاً بصيراً ، مُتكلِّماً عالِماً ، قادراً مُريداً ، حيّاً مُنزَّهاً عنِ الجهاتِ ، لٰكن فهموا هٰذهِ الصِّفاتِ علىٰ حَسَبِ مُناسَبةِ صفاتِهِم ، وربَّما صرَّحَ بعضُهُم فقالَ : كلامُهُ صوتٌ وحرفٌ ككلامِنا ، وربَّما ترقَّىٰ بعضُهُم فقالَ : لا ، بل هوَ كحديثِ نفسِنا ؛ فلا : هوَ صوتٌ ، ولا حرفٌ .

وكذٰلكَ إذا طُولِبوا بحقيقةِ السَّمعِ والبصرِ والحياةِ . . رجعوا إلى التَّشبيهِ مِن حيثُ المعنىٰ وإن أنكروها مِن حيثُ اللَّفظُ ؛ إذ لم يدركوا أصلاً معانيَ هٰذهِ الإطلاقاتِ في حقِّ اللهِ تباركَ وتعالىٰ ، وكذٰلكَ قالوا في إرادتِهِ : إنَّها إرادةٌ حادثةٌ مثلُ إرادتِنا ، وإنَّها طلبٌ وقصدٌ مثلُ قصدِنا ، وهٰذهِ مذاهبُ مشهورةٌ ، فلا حاجةَ بنا إلىٰ تفصيلِها ، **فهٰؤلاءِ محجوبونَ بجملةٍ مِنَ الأنوارِ معَ ظلمةِ المُقايساتِ العقليَّةِ** .

فهٰؤلاءِ كلُّهم أصنافُ القسمِ الثَّاني ؛ الَّذينَ حُجِبوا بنورٍ مقرونٍ بظلمةٍ ، وباللهِ التَّوفيقُ .

❋ ❋ ❋

القسم الثّالث

هُمُ المحجوبونَ بمحضِ الأنوارِ ، وهُم أصنافٌ لا يمكنُ إحصاؤُهُم .

فأشيرُ إلىٰ ثلاثةِ أصنافٍ منهُم :

الصِّنفُ الأوَّلُ : طائفةٌ منهُم عرفوا معانيَ الصِّفاتِ تحقيقاً ، وأدركوا أنَّ إطلاقَ اسمِ الكلامِ والإرادةِ والقدرةِ والعِلمِ وغيرِها علىٰ صفاتِهِ . . ليسَ مثلَ إطلاقِهِ على البشرِ ، فتحاشَوا عن تعريفِهِ بهٰذهِ الصِّفاتِ ، وعرَّفوهُ بالإضافةِ إلى المخلوقاتِ ؛ كما عرَّفَ موسىٰ عليهِ السَّلامُ في جوابِ قولِ فرعونَ : ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ ، فقالَ[1] : إنَّ الرَّبَّ المُقدَّسَ المُنزَّهَ عنِ المفهومِ الظَّاهرِ مِن معاني هٰذهِ الصِّفاتِ . . هوَ مُحرِّكُ السَّماواتِ ومُدبِّرُها .

❁ ❁ ❁

الصِّنفُ الثَّاني : ترقَّوا عن هٰؤلاءِ مِن حيثُ ظَهَرَ لهُم : أنَّ في السَّماواتِ كثرةً ، وأنَّ مُحرِّكَ كلِّ سماءٍ خاصَّةً موجودٌ آخرُ يُسمَّىٰ : ملَكاً ، وفيهِم كثرةٌ ، وإنَّما نسبتُهُم إلى الأنوارِ الإلٰهيَّةِ نسبةُ الكواكبِ ، ثُمَّ لاحَ لهُم : أنَّ هٰذهِ السَّماواتِ في ضمنِ فَلَكٍ آخَرَ ، يتحرَّكُ الجميعُ بتحرُّكِهِ في اليومِ واللَّيلةِ مرَّةً ، وقالوا : الرَّبُّ

---

(١) في (ب ، ط) : (لٰكن قالوا) .

هوَ المُحرّكُ للجِرْمِ الأقصى المُنطوي على الأفلاكِ كلِّها ؛ إذِ الكثرةُ منفيَّةٌ عنهُ .

❁ ❁ ❁

الصِّنفُ الثَّالثُ : ترقَّوا عن هٰؤلاءِ وقالوا : إنَّ تحريكَ الأجسامِ بطريقِ المُباشَرةِ . . ينبغي أن يكونَ خدمةً لربِّ العالَمينَ ، وعبادةً لهُ ، وطاعةً مِن عبدٍ مِن عبادِهِ يُسمَّىٰ : ملَكاً ، نسبتُهُ إلى الأنوارِ الإلٰهيَّةِ المحضةِ نسبةُ القمرِ إلى الأنوارِ المحسوسةِ ، **فزعموا** : أنَّ الرَّبَّ هوَ المُطاعُ مِن جهةِ هٰذا المُحرِّكِ ، ويكونُ الرَّبُّ تعالىٰ مُحرّكاً للكلِّ بطريقِ الأمرِ ، لا بطريقِ المُباشَرةِ ، ثُمَّ في تفهيمِ ذٰلكَ الأمرِ وماهيَّتِهِ غموضٌ تَقْصُرُ عنهُ أكثرُ الأفهامِ ، ولا يحتملُهُ هٰذا الكتابُ .

فهٰؤلاءِ الأصنافُ كلُّهُم محجوبونَ بالأنوارِ المحضةِ .

❁ ❁ ❁

وإنَّما الواصلونَ صنفٌ رابعٌ ، تجلَّىٰ لهُم : أنَّ هٰذا المُطاعَ أيضاً موصوفٌ بصفةٍ تنافي الوَحْدانيَّةَ المحضةَ ، والكمالَ البالغَ لِسرٍّ لا يحتملُ هٰذا الكتابُ كشفَهُ ، وأنَّ نسبةَ هٰذا المُطاعِ نسبةُ الشَّمسِ في الأنوارِ الحسِّيَّةِ ، فتوجَّهوا مِنَ الَّذي يُحرِّكُ السَّماواتِ ، ومِنَ الَّذي يُحرِّكُ الجِرْمَ الأقصىٰ ، ومِنَ الَّذي أمرَ بتحريكِها . . إلى الَّذي فطرَ السَّماواتِ ، وفطرَ الجِرْمَ الأقصىٰ ، وفطرَ الآمِرَ بتحريكِها ، فوصلوا إلىٰ موجودٍ مُنزَّهٍ عن كلِّ ما أدركَهُ بصرُ مَن

قبلَهُم ، فأحرقَتْ سُبُحاتُ وجهِهِ الأوَّلِ الأعلىٰ جميعَ ما أَدركَهُ بصرُ النَّاظرينَ وبصيرتُهُم ؛ إذ وجدوهُ مُنزَّهاً مُقدَّساً عن جميعِ ما وصفْناهُ مِن قبلُ .

ثُمَّ هـٰؤلاءِ انقسموا :

فمنهُم : مَنِ احترقَ منهُ جميعُ ما أدركَـهُ بصرُهُ ، وانمحقَ وتلاشىٰ ، لـٰكن بقيَ هوَ مُلاحِظاً للجمالِ والقُدْسِ ، ومُلاحِظاً ذاتَهُ في جمالِهِ الَّذي نالَهُ بالوصولِ إلى الحضرةِ الإلـٰهيَّةِ ، فانمحقَتْ منهُ المُبصَراتُ دونَ المُبصِرِ .

وجـاوزَ هـٰؤلاءِ طائفةٌ ؛ **هُم خـواصُّ الـخـواصِّ** ، فأحرقَتْهُم سُبُحاتُ وجهِهِ في أنفسِهِم ، وغشيَهُم سلطانُ الجلالِ ، فانمحقوا وتلاشَوا في ذواتِهِم ، فلم يَبْقَ لهُم لِحاظٌ إلىٰ أنفسِهِم ؛ لفنائِهِم عن أنفسِهِم ، ولم يَبْقَ إلَّا الواحدُ الحقُّ ، وصارَ معنىٰ قولِهِ تعالىٰ : ﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ﴾ [٢٨/٨٨] . . لهُم ذَوْقاً وحالاً ، وقد أشرْنا إلىٰ ذٰلكَ في (الفصلِ الأوَّلِ) ، وذكرْنا أنَّهُم كيفَ أطلقوا الاتِّحادَ ، وكيفَ ظنُّوهُ [١] . . **فهـٰذهِ نهايةُ الواصلينَ** .

ومنهُم : مَن لم يندرجْ [٢] في هـٰذا التَّرقِّي والعُروجِ على التَّفصيلِ الَّذي ذكرْناهُ ، ولم تَطُلْ عليهِمُ الطَّريقُ ، فسُبِقوا في أوَّلِ وَهْلَةٍ إلىٰ معرفةِ القُدْسِ ، وتنزيهِ الرُّبوبيَّةِ عن كلِّ ما يَجِبُ

---

(١) انظر ما تقدم (ص ٣٨) .

(٢) في (ب ، ط) : (يتدرج) .

تنزيهُهُ عنهُ ، فغلبَ عليهِم أوَّلاً ما غلبَ على الآخَرِينَ آخِراً ، وهجَمَ عليهِمُ التَّجلِّي دَفعةً ، فأحرقَتْ سُبُحاتُ وجهِهِ جميعَ ما يُمكِنُ أن يدركَهُ بصرٌ حسِّيٌّ ، وبصيرةٌ عقليَّةٌ ، **ويشبهُ أن يكونَ الأوَّلُ** : **طريقَ الخليلِ صلواتُ اللهِ عليهِ** ، **والثَّاني** : **طريقَ الحبيبِ صلواتُ اللهِ عليهِما** ، واللهُ أعلمُ بأسرارِ أقدامِهِما ، وأنوارِ مقامِهِما .

❁ ❁ ❁

فهٰذهِ إشارةٌ إلىٰ أصنافٍ مِنَ المحجوبينَ ، ولا يبعدُ أن يبلغَ عددُهُم ـ إذا فُصِّلَتِ المقاماتُ [١] ، وتُتُبِّعَ حجبُ السَّالكينَ ـ سبعينَ ألفاً ، ولٰكن إذا قيسَتْ . . لا تجدُ واحداً منها خارجاً عنِ الأقسامِ الَّتي حصرْناها ؛ فإنَّهُم : إمَّا محجوبونَ بصفاتِهِمُ البشريَّةِ ، أو بالحسِّ ، أو بالخيالِ ، أو بمُقايسةِ العقلِ ، أو بالنُّورِ المحضِ ؛ كما سبقَ .

❁ ❁ ❁

فهٰذا ما حضرَني في هٰذا الوقتِ في جوابِ هٰذهِ الأسولةِ [٢] ، معَ أنَّ السُّؤالَ صادفَني والفِكرُ مُنقسِمٌ ، والخاطرُ مُنشعِبٌ ، والهمُّ إلىٰ غيرِ هٰذا الفنِّ مُنصرِفٌ ، ومُقترَحي عليهِ : أن نَسألَ اللهَ تعالى العفوَ عمَّا طغىٰ بهِ القلمُ ، أو زلَّتْ بهِ القَدَمُ ؛ فإنَّ خوضَ غَمْرَةِ

---

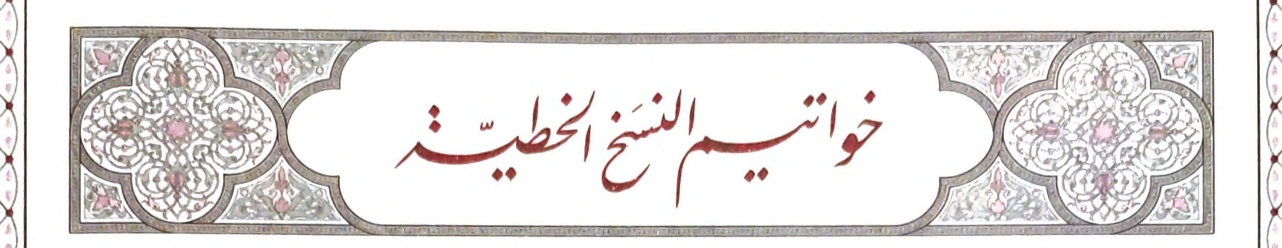
(١) في (ب ، ط) ونسخة في هامش (أ) : (المقالات) .

(٢) في (ب) ونسخة في هامش (أ) : (الأسرار) .

الأسرارِ الإلـٰهيَّةِ خطيرٌ ، واستكشافَ الأنـوارِ الإلـٰهيَّةِ مِن وراءِ الحُجُبِ البشريَّةِ عسيرٌ غيرُ يسيرٍ ، والسَّلامُ .

والحمد لله ربّ العالمين
والصّلاة على خير خلقه محمّدٍ وآله الطيّبين الطّاهرين[1]

(١) في هامش (أ) : (عُورِض) .



خاتمة النسخة (أ)

فرغَ مِن كتابتِهِ العبدُ الضَّعيفُ ، الرَّاجي رحمةَ ربِّهِ : محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ الحسينِ الحسينيُّ ، ضَحْوةَ يومِ الجمعةِ ، الثَّامنَ عشرَ مِنَ المُحرَّمِ ، سنةَ سبعٍ وثمانينَ وخمسِ مئةٍ .

خاتمة النسخة (ب)

آخِرُ كتابِ « مِشكاةِ الأنوارِ » ، والحمدُ للهِ حقَّ حمدِهِ ، وصلواتُهُ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ وسلامُهُ ، وهوَ حسبُنا ونِعْمَ الوكيلُ .

وافقَ الفراغَ مِن نسخِهِ محمَّدُ بنُ عيسى بنِ محمَّدِ بنِ عيسى الأُمويُّ (١) ليلةَ السَّبتِ ، التَّاسِعِ والعشرينَ مِن ذي القَعْدةِ ، سنةَ إحدىٰ وأربعينَ وخمسِ مئةٍ .

خاتمة النسخة (هـ)

تمَّ الكتابُ في التَّاسعِ مِن شهرِ رمضانَ سنةَ (٨٥٩ هـ) .

---

(١) تحتمل في (ب) : (ابن عبيق الأموي) أو غير ذٰلك .

خاتمة النّسخة (و)

تمَّ الكتابُ بعونِ اللهِ وحسنِ توفيقِهِ ، وصلَّى اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمَّدٍ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ ، والحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ .

حرَّرَ هٰذهِ الرِّسالةَ في دارِ الفتحِ قسطنطينيَّةَ المحروسةِ ، في جامعِ أياصوفيا ، في تاريخِ سنةِ ثمانٍ وستِّينَ وثمانِ مئةٍ .

خاتمة النّسخة (ز)

والحمدُ للهِ وصلواتُهُ على النَّبيِّ الأُمِّيِّ الهاشميِّ محمَّدٍ وآلِهِ وأصحابِهِ وأزواجِهِ وذرِّيَّاتِهِ أجمعينَ .

تمَّ كتابُ « كاشفِ الأنوارِ ومِصفاةِ الأسرارِ » مِن تأليفِ الشَّيخِ الإمامِ العالِمِ الرَّبَّانيِّ والحبرِ الصَّمدانيِّ : أبي حامدٍ الغزاليِّ قدَّسَ اللهُ سرَّهُ ، علىٰ يدِ العبدِ الفقيرِ البائسِ المُضطَرِّ : عبدِ اللهِ الهنديِّ ، حامداً للهِ تعالىٰ ومُصلِّياً ومُسلِّماً علىٰ نبيِّهِ محمَّدٍ وآلِهِ .

* * *

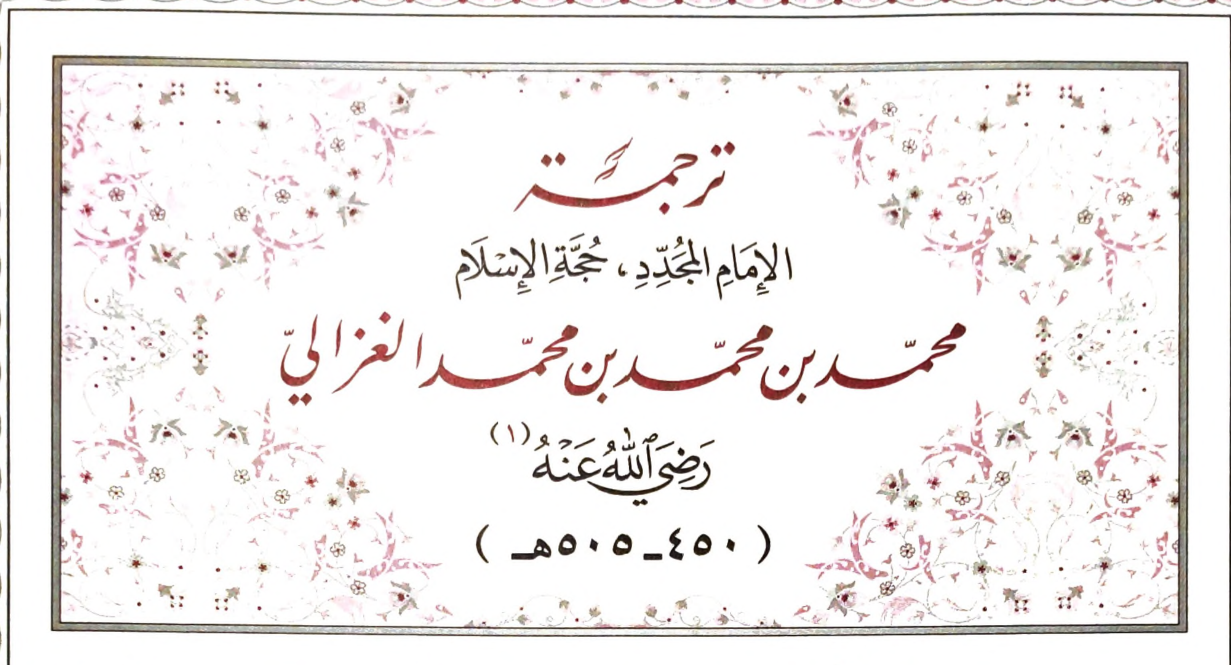


ملحقات الكتاب

وتشمل :

- ترجمة الإمام الغزالي رضي الله عنه
- وصف النسخ الخطية
- منهج العمل في الكتاب
- صور من المخطوطات المعتمدة
- المصادر والمراجع
- محتوى الكتاب

❁ ❁ ❁



هوَ الإمامُ **حُجَّةُ الإسلامِ** زينُ الدِّينِ ، **أبو حامدٍ** ، محمَّدُ بنُ محمَّدِ بنِ محمَّدٍ الطُّوسيُّ الطَّابَرانيُّ ، الشَّافعيُّ ، **الغزاليُّ** .

وُلِدَ بطُوسَ سنةَ (٤٥٠ هـ) ، **وتُوفِّيَ أبوهُ وهوَ صغيرٌ** ، وكانَ قد أوصىٰ بهِ وبأخيهِ أحمدَ إلىٰ صديقٍ لهُ ، فرعاهُما حتىٰ أدخلَهُما المدرسةَ يَتعلَّمانِ إلىٰ أن كَبِرا فيها .

❀ ❀ ❀

ثمَّ بدأَتْ مرحلةُ التَّحصيلِ العلميّ علىٰ أكابرِ شيوخِ العصرِ ؛ **فقرأَ الإمامُ الغزاليُّ** رضيَ اللهُ عنهُ على الشَّيخِ **الإمامِ أحمدَ بنِ محمَّدٍ الرَّاذكانيّ بطُوسَ** .

وسافرَ إلىٰ جُرجانَ ، فقرأَ على الشَّيخِ **الإمامِ أبي القاسمِ الإسماعيليّ** ، وعَلَّقَ عنهُ « التعليقةَ » .

ثمَّ قدمَ نيسابورَ ، ولازمَ الإمامَ **أبا المعالي الجُوَيْنيَّ إمامَ الحرمينِ** وتَخرَّجَ بهِ ، وعَرَضَ عليهِ باكورةَ مُؤلَّفاتِهِ « المنخولَ » في أصولِ الفقهِ .

---

(١) أهم مصادر الترجمة : « تاريخ دمشق » (٥٥/٢٠٠) ، « سير أعلام النبلاء » (١٩/٣٢٢) ، « طبقات الشافعية الكبرىٰ » (٦/١٩١) ، « إتحاف السادة المتقين » (١/٦) .

ولمَّا تُوفِّيَ الإمامُ الجُوَيْنيُّ . . خرجَ إلى المعسكرِ ، وسمعَ بهِ الوزيرُ نظامُ المُلْكِ ، فقَدَّمَهُ في مجلسِهِ ، وحَظِيَ عندَهُ بالقَبُولِ ، وبَرَعَ في المناظرةِ حتىٰ ظهرَ اسمُهُ في الآفاقِ ، فأُرسِلَ إلىٰ بغدادَ للتَّدريسِ في المدرسةِ النِّظَاميَّةِ سنةَ (٤٨٤ هـ) .

وفي أثناءِ تدريسِهِ ببغدادَ تفرَّغَ للتَّأليفِ ؛ فكَثُرَتْ مُؤلَّفاتُهُ ، وعَلَتْ شهرتُهُ ؛ حتَّىٰ أضحىٰ يُشارُ إليهِ بالبَنانِ .

❁ ❁ ❁

ثمَّ جاءَتْهُ السَّعادةُ الحقيقيَّةُ ؛ فسلكَ طريقَ الزُّهدِ والتَّألُّهِ ، وخرجَ مِنْ جميعِ ما كانَ فيهِ ، وتركَهُ وراءَ ظهرِهِ ، وقصدَ بيتَ اللهِ الحرامَ ؛ فخرجَ إلى الحجِّ سنةَ (٤٨٨ هـ) .

ثمَّ دخلَ دمشقَ سنةَ (٤٨٩ هـ) ، فأقامَ بها نحوَ عشرِ سنينَ ، أخذَ نفسَهُ فيها بالرِّياضةِ ، والمجاهدةِ والخلوةِ ، وأَلَّفَ فيها كتابَهُ العظيمَ « إحياءَ علومِ الدِّينِ » .

ثمَّ عادَ إلىٰ طُوسَ ، فاستدعاهُ فخرُ المُلْكِ إلىٰ نيسابورَ ، فدَرَّسَ بها في المدرسةِ النِّظَاميَّةِ .

ثمَّ تركَ المدرسةَ ، وعادَ إلىٰ بيتِهِ مُوزِّعاً أوقاتَهُ بينَ تلاوةِ القرآنِ ، والتَّدريسِ والإفادةِ ، والنُّصحِ والإرشادِ ، إلىٰ أن وافتْهُ المنيَّةُ بطُوسَ سنةَ (٥٠٥ هـ) .

❁ ❁ ❁

تركَ الإمامُ الغزاليُّ رضيَ اللهُ عنهُ مُؤلَّفاتٍ مشهورةً لم يُسبَقْ إليها ، مَنْ تأمَّلَها . . عَلِمَ فضلَهُ وقَدْرَهُ في فنونِ العِلْمِ ، وقد قيلَ : (أُحصِيَتْ كتبُ الغزاليِّ الَّتي صَنَّفَها ، ووُزِّعَتْ علىٰ عمرِهِ ؛ فخصَّتْ

كلَّ يومٍ أربعُ كراريسَ ، وذٰلكَ فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ)[1] .

ومِنْ هٰذهِ المُؤلَّفاتِ النَّافعةِ : « إحياءُ علومِ الدِّينِ » ، و« الاقتصادُ في الاعتقادِ » ، و« مقاصدُ الفلاسفةِ » ، و« بدايةُ الهدايةِ » ، و« تهافتُ الفلاسفةِ » ، و« المُنقذُ مِنَ الضَّلالِ » ، و« مِحَكُّ النَّظرِ » ، و« مِعيارُ العِلْمِ » ، و« القِسطاسُ المستقيمُ » ، و« المنخولُ من تعليقاتِ الأصولِ » ، و« المستصفىٰ من علمِ الأصولِ » ، و« البسيطُ » ، و« الوسيطُ » ، و« الوجيزُ » ، و« الخلاصةُ » ، و« إلجامُ العوامِّ » ، و« أيُّها الولدُ » ، و« فيصلُ التَّفرقةِ » ، و« جواهرُ القرآنِ » ، و« الأربعينَ في أصولِ الدِّينِ » ، و« المَقصِدُ الأسنىٰ » ، و« ميزانُ العملِ » ، و« مِشْكاةُ الأنوارِ » **وهوَ كتابُنا هٰذا** ، وغيرُها الكثيرُ[2] .

❀ ❀ ❀

ومِنْ ثناءاتِ أهلِ العِلْمِ في حقِّهِ :

قالَ فيهِ شيخُهُ الإمامُ **الجُوَيْنيُّ** : (الغزاليُّ بحرٌ مُغْرِقٌ) .

وقالَ الحافظُ **ابنُ عساكرَ** : (كانَ إماماً في عِلْمِ الفقهِ مذهباً وخلافاً ، وفي أصولِ الدِّياناتِ) .

---

(١) **الكراريس** ـ جمع كُرَّاسة ـ : وهي عبارة عن مجموع من الأوراق المزدوجة المتداخلة فيما بينها بحدود عشر ورقات ، فكان ما يكتبه رضي الله عنه يقارب أربعين ورقة يومياً ، وهٰذا راجع للبركة في الوقت ، وذٰلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

(٢) وقد أكرم الله سبحانه وتعالىٰ دار المنهاج بخدمة بعض كتب هٰذا الإمام الجليل ؛ **وأهمها** : « إحياء علوم الدين » ، و« الأربعين في أصول الدين » ، و« الاقتصاد في الاعتقاد » ، و« إلجام العوام عن علم الكلام » ، و« أيها الولد » ، و« بداية الهداية » ، و« جواهر القرآن » ، و« الخلاصة » ، و« فيصل التفرقة » ، و« القسطاس المستقيم » ، و« محك النظر » ، و« معيار العلم » ، و« المقصد الأسنىٰ في شرح أسماء الله الحسنىٰ » ، و« المنقذ من الضلال » ، و« منهاج العابدين إلىٰ جنة رب العالمين » ، و« ميزان العمل » ، **ونسأل الله أن يتمم نعمته علينا** بخدمة جميع كتب هٰذا الإمام العبقري رضي الله عنه .

وقالَ الحافظُ ابنُ النَّجّارِ : (إمامُ الفقهاءِ على الإطلاقِ ، وربّانيُّ الأُمَّةِ باتّفاقٍ ، ومُجتهِدُ زمانِهِ) .

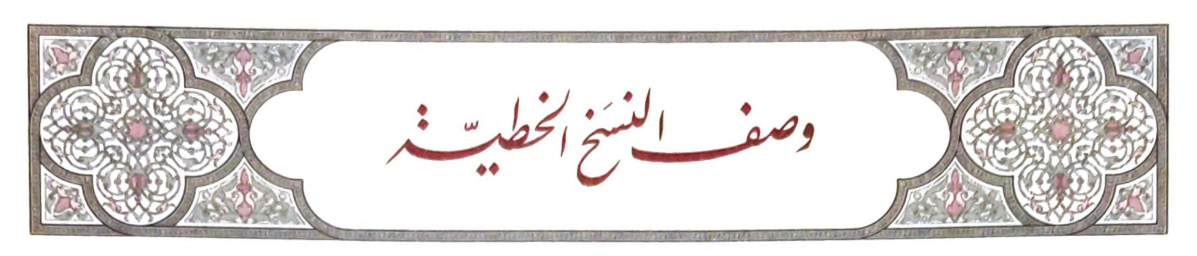
وقالَ الحافظُ الذَّهبيُّ : (الشَّيخُ الإمامُ البحرُ ، حُجَّةُ الإسلامِ ، أُعْجُوبةُ الزمانِ) .

وقالَ الإمامُ ابنُ السُّبكيِّ : (حُجَّةُ الإسلامِ ، ومَحَجَّةُ الدِّينِ الَّتي يُتوصَّلُ بها إلىٰ دارِ السَّلامِ ، جامعُ شتاتِ العلومِ ، والمُبَرِّزُ في المنقولِ منها والمفهومِ) .

رضي الله عنه وأرضاه ، وأكرم نزله ومثواه ، ونفع بعلومه

إنه خير مسؤول

آمين



وصف النسخ الخطية

كان عملنا في تحقيق هـٰذا الكتاب المبارك علىٰ سبع نسخ ؛ ستٌّ منها خطِّيَّةٌ وواحدة مطبوعة .

النُّسخة الأولىٰ : نسخة مكتبة حاجي سليم آغا بإستنبول ، برقم (١٠٨) .

جاءت ضمن مجموع نفيس حوىٰ عدة كتب من كتب الإمام الغزاليِّ رحمه الله تعالىٰ .

بلغ عدد أوراق هـٰذا المجموع (٢٩١) ورقة ، يبدأ كتابنا من الورقة (١٨٥) ، وينتهي عند الورقة (٢٠٦) .

حَوَتْ كلُّ صفحة (١٧) سطراً ، في كلِّ سطر (١٦) كلمة تقريباً .

ناسخها : محمَّد بن محمَّد بن الحسين الحسينيُّ ، **وقع الفراغ من نسخها** : ضحوةَ يوم الجمعة ، (١٨) من المحرم ، سنة (٥٨٧ هـ) ، **وخطُّها** : نسخيٌّ معتاد .

جاء عنوان الكتاب فيها : كتاب « مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار » من تصنيف الشَّيخ الإمام الأجلِّ ، صدر الدِّين ، حجَّة الإسلام : محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزاليِّ ، نوَّر الله مضجعه .

وهي **نسخة نفيسة** مقابلة بنسخ أُخَرَ كما يظهر من هوامشها ، وقد جاء في نهايتها (عُورِض) ، ضبط النَّاسخ بعض كلماتها بالشَّكل .

جاء علىٰ طرَّتها ختم فيه : حسبي الله ، قد وقف هـٰذا الكتاب المستطاب لوجه الله الملك الوهَّاب : الحاجُّ سليم آغا ، وشرط ألَّا يُخرج

ولا يُرهن ؛ فمن بدله بعدما سمعه فإنَّما إثمه على الَّذين يبدلونه .

وعلىٰ طرَّتها أيضاً : بيتان من الشِّعر من مجزوء الكامل ؛ وهما :

أكتابٌ اَم شمس الهدىٰ أم حكمة اللَّاهوتِ
أم نسخة منقولة من عالَم الملكوتِ

ورمزنا لها بـ (أ) .

❁ ❁ ❁

النُّسخة الثَّانية : نسخة مكتبة عيسىٰ إسكندر المعلوف وأولاده التي آلت إلىٰ مكتبة الجامعة الأميركيَّة ببيروت ، برقم (٣ و٢٩٧) .

ضمَّها مجموعٌ إلىٰ أجوبةٍ سُئل عنها الإمامُ الغزاليُّ رحمه الله تعالىٰ .

بلغ عدد صفحات هٰذا المجموع (٥٦) صفحة ، بدأ كتابنا من بداية المجموع إلى الصفحة (٤٩) .

حَوَتْ كلُّ صفحة (٢١) سطراً ، وفي كلِّ سطر (١٠) كلمات تقريباً .

ناسخها : محمَّد بن عيسى بن محمَّد بن عيسى الأمويُّ ، **وقع الفراغ من نسخها** : ليلة السَّبت ، (٢٩) من ذي القعدة ، سنة (٥٤١ هـ) ، **وخطُّها** : نسخيٌّ معتاد .

جاء عنوان الكتاب فيها : « مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار » تصنيف الشَّيخ الإمام أبي حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزاليِّ الطُّوسيِّ رحمة الله عليه .

وهي **نسخة جيِّدة** ، امتازت بزيادات ليست في باقي النُّسخ ، وقد قوبلت بنسخ أخرىٰ ، وهو ما يظهر من هوامش هٰذه النُّسخة ، وقد ضبط النَّاسخ أواخر الكلمات بالشَّكل ، ويزيدها جودةً قرب عهدها من وفاة المؤلف رحمه الله تعالىٰ ؛ فبين نسخِها ووفاة المؤلِّف (٣٦) سنة .

وعلىٰ طرَّتها ختم جاء فيه : خزانة كتب عيسىٰ إسكندر المعلوف وأولاده (١٩٢٥) .

وعلى الطُّرَّة أيضاً : نظر إلىٰ هـٰؤلاء الرَّسائل أفقر العباد مصلح الدِّين مصرط .

ورمزنا لها بـ (ب) .

❁ ❁ ❁

النُّسخة الثَّالثة : مطبوعة الدَّار القوميَّة بمصر ، القاهرة .

عناية وتحقيق : الدُّكتور أبي العُلا العفيفي .

بلغ عدد صفحاتها (٩٥) صفحة .

طُبعت : سنة (١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م) .

ورمزنا لها بـ (ج) .

❁ ❁ ❁

أما نسخ الاستئناس . . فهي :

النُّسخة الرابعة : **نسخة مكتبة فاضل أحمد بإستنبول** ، برقم (١٦٠٣) .

وهي ضمن مجموع ضمَّ كتابنا هـٰذا مع عدَّة كتب ورسائل لبعض العلماء ، بلغت أوراقه (٢٤٥) ورقة ، جاء كتابنا في الورقة (٩٧) ، وانتهىٰ عند الورقة (١٤٣) .

حَوَتْ كلُّ صفحة (١٥) سطراً ، في كلِّ سطر (٨) كلمات تقريباً .

ناسخها : يوسف بن عبد الصَّمد بن يوسف البكريُّ البغداديُّ ، **وقع الفراغ من نسخها** : في يوم الخميس ، (١٧) من ذي القعدة ، سنة (٧٣٩ هـ) ، **وخطُّها** : نسخيٌّ معتاد .

وهي **نسخة جيِّدة** ، كُتِب في هامشها بعضُ العُنْوانات والمطالب .

جاء عنوان الكتاب فيها : كتاب « مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار » للإمام حجَّة الإسلام محمَّد الغزاليِّ قدَّس الله تعالىٰ سرَّه .

وعلىٰ طرَّة المجموع : انعقد في عِقْد الفقير الخاطئ والساهي محمد الشهير بشاهي ، حُفَّ باللُّطف الإلـٰهيِّ .

وعلىٰ طرَّته أيضاً ختم فيه : هـٰذا الكتاب واقفه الوزيرُ أبو العباس أحمد بن الوزير أبي عبد الله محمد عرف بكوبريلي ، أقال الله عثارهما (١٠٨٨) .

وختم آخر فيه : إنما لكلِّ امرئ ما نوىٰ .

ورمزنا لها بـ (د) .

❁ ❁ ❁

النُّسخة الخامسة : **نسخة مكتبة حاجي بشير آغا بإستنبول** ، برقم (٦٥٠) .

وهي ضمن مجموع ضمَّ بعضاً من كتب الإمام الغزاليِّ ، وكتابَ « تفليس إبليس » للإمام ابن غانم المقدسيِّ ، وكتاباً للإمام أبي الحسن الشاذليِّ في التَّصوُّف رحمهم الله تعالىٰ .

عدد أوراقه (٣٦٥) ورقة ، يبدأ كتابنا من الورقة (٥٠) ، وينتهي بالورقة (٦٦) .

حَوَتْ كلُّ صفحة (٢٤) سطراً ، في كلِّ سطر (١٠) كلمات تقريباً .

فُرِغ من نسخها : في (٩) من شهر رمضان ، سنة (٨٥٦ هـ) ، ولم يُذكر اسم ناسخها ، **وخطُّها** : نسخيٌّ معتاد .

وهي **نسخة جيدة** ، اشتملت هوامشها علىٰ بعض التَّصويبات .

جاء عنوان الكتاب في هٰذه النُّسخة : كتاب « مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار » من تصانيف الشَّيخ الإمام ، العالم الفاضل ، حجَّة الإسلام ، علَّامة العالَمِ ، زين الدِّين ، شرف الأئمَّة : أبي حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزاليِّ الطُّوسيِّ رحمه الله رحمة واسعة .

وجاء علىٰ طرَّتها : هٰذه في نوبة الشَّيخ علاء الدِّين البخاريِّ ، الحمد لله ، ثمَّ صار في نوبة أفقر العباد ، مَن هو أهون من التُّراب الحقير : محمَّد بن عبد الرَّحمٰن بن محمَّد الصُّهيونيِّ الشَّافعيِّ الأشعريِّ ، لطف الله تعالىٰ به وبجميع المسلمين ، وغفر زلَّاته وزلَّات أمَّة سيِّدنا محمَّد أجمعين ، رحم الله من يقول : آمين ، والحمد لله ربِّ العالمين ، في سنة (٩٥٥) .

ورمزنا لها بـ (هـ) .

❀ ❀ ❀

النُّسخة السادسة : نسخة مكتبة أياصوفيا بإستنبول ، برقم (١٧١١) .

جاءت ضمن مجموع حوىٰ ثلاثة كتب ؛ **أوَّلُها** : كتابنا هٰذا ، **وثانيها** : « تفصيل النَّشأتين وتحصيل السَّعادتين » للإمام الرَّاغب الأصبهانيِّ ، **وثالثُها** : « تبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي » للإمام صدر الدِّين القونويِّ رحمهما الله تعالىٰ .

بلغت أوراق المجموع (١٤٢) ورقة ، جاء كتابنا في بداية المجموع ، وانتهىٰ عند الورقة (٤١) .

ضمَّت كلُّ صفحة (١٥) سطراً ، في كلِّ سطر (١٠) كلمات تقريباً .

ناسخها : لم يُذكر اسم ناسخها ، إلا أن الكتاب الذي جاء

بعدها خطُّهُ شبيهٌ بخط هٰذه النسخة ، **فالظَّاهر** : أن ناسخ الكتابَينِ واحد ؛ **واسمه** : معروف بن مولانا سعد الدين ، **فرغ من نسخها** : سنة (٨٦٨ هـ) ، **وخطُّها** : نسخيٌّ معتاد .

وهي **نسخة جيِّدة** مقابلة يظهر ذٰلك من هوامشها .

جاء عنوان الكتاب فيها : كتاب « أسرار الأنوار الإلٰهيَّة » للإمام الغزاليِّ في التَّصوُّف .

وعلىٰ طرَّتها ختم جاء فيه : الحمد لله الَّذي هدانا لهٰذا وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وقف محمود بن مصطفىٰ خان .

وعلى الطُّرَّة وقف جاء فيه : وقف هٰذه النُّسخةَ الجليلةَ سلطانُنا الأعظم والخاقان المعظَّم ، مالك البرَّينِ والبحرَينِ ، خادم الحرمَينِ الشَّريفَينِ ، السُّلطانُ بنُ السُّلطان : السُّلطانُ الغازي محمود خان وقفاً صحيحاً شرعياً ؛ لمن طالع واسترشد ، وأناب واستسعد ، خلَّد الله ملكه الأمجد ، حرَّره الفقير أحمد شيخ زاده بأوقاف الحرمين الشَّريفين ، غفر لهما .

ورمزنا لها بـ (و) .

❀ ❀ ❀

النُّسخة السابعة : **نسخة مكتبة السُّليمانية بإستنبول** ، برقم (٧٣٤) .

بلغ عدد أوراقها (٦٧) ورقة ، وحَوَتْ كلُّ صفحة (٩) أسطر ، في كلِّ سطر (٨) كلمات تقريباً .

ناسخها : عبد الله الهنديُّ ، ولم يُذكر تاريخ النَّسخ ، **وخطها** : نسخيٌّ معتاد .

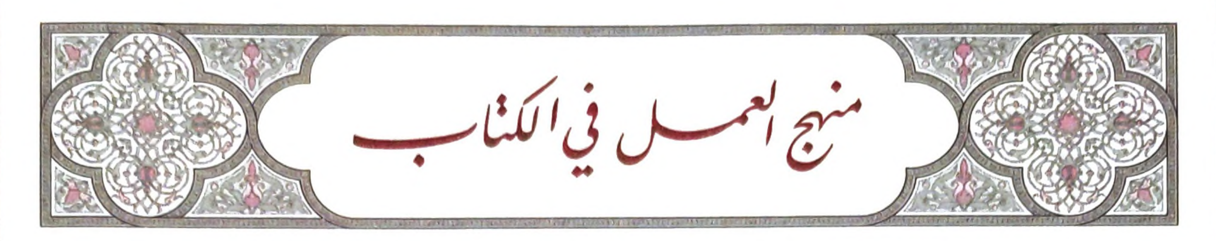
وهي **نسخة جيِّدة** ، اعتنىٰ ناسخها بضبط كلماتها بالشَّكل الكامل .

جاء عنوان الكتاب فيها : كتاب « كاشف الأنوار ومصفاة الأسرار » تأليف الشَّيخ الإمام الهمام أبي حامد الغزاليِّ قدَّس الله سرَّه .

جاء علىٰ طرَّتها : وقف جامع شريف سلطان سليمان خان عليه الرَّحمة .

ورمزنا لها بـ (ز) .

* * *



منهج العمل في الكتاب

بتوفيق الله تعالىٰ كان سير العمل في هـٰذا الكتاب المبارك وَفْق الخطوات الآتية :

ـ عارضنا الكتاب بعد نَسْخه علىٰ نُسَخه الخطيَّة ، وأثبتنا في الحواشي الفروق المهمَّة الَّتي رأينا إثباتها لزيادة الفائدة .

ـ أثبتنا الآيات القرآنيَّة بالرَّسم العثمانيِّ ، من رواية حفص عن عاصم رحمهما الله تعالىٰ ، وخرَّجناها بذكر رقم السورة مع رقم الآية هـٰكذا : (رقم السورة ← ٣/١١ → رقم الآية) .

ـ خرَّجنا الأحاديث والآثار والأقوال من مصادر التَّخريج ، مع ذكر راويها ومخرِّجها وقائلها .

ـ ضبطنا نصَّ الكتاب بالشَّكل ضبطاً إعرابياً ، وضبطاً كاملاً للمُشْكِل من الكلام .

ـ رصَّعنا النَّصَّ بعلامات التَّرقيم المناسبة ، مع تقسيمنا النَّصَّ إلىٰ مقاطعه الرئيسة ؛ تقريباً للنصِّ من القارئ .

ـ شرحنا الكلماتِ الغريبةَ التي هي بحاجة لبيان معناها .

ـ ترجمنا المؤلِّفَ ترجمةً مختصرة .



وفي الختام :

اللهَ تعالىٰ نسألُ ، وبحبيبه المصطفىٰ صلَّى الله عليه وسلَّم نتوسَّلُ : أن نكون قد وُفِّقنا لإخراج الكتاب كما أراده مؤلِّفه عليه من الله تعالى

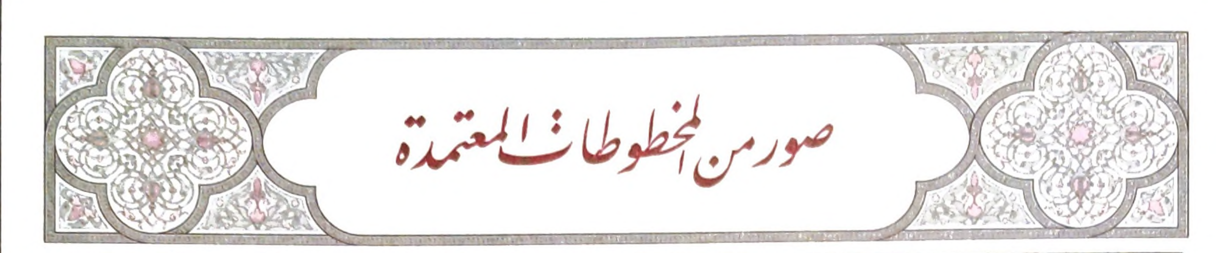
الرَّحماتُ ، وأن يحشرنا معه في أعالي الجنَّات ، تحت لواء سيِّد السَّادات ؛ سيِّدِنا محمَّدٍ عليه من الله تعالىٰ أشرفُ الصَّلوات وأزكى التَّسليمات .

اللجنة العلمية

بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي

بإشراف

عمر سالم باجخيف



صور من المخطوطات المعتمدة



كتاب جواهر القرآن

مما صنفه الشيخ الامام الاجل الامام الشرف ... ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي رحمه الله

فهرست ما في هذا الكتاب

جواهر القرآن ١ — الأربعين ٢ — القسطاس المستقيم ٣ — الرسالة اللدنية ٤ — مشكوة الانوار ٥ — فيصل التفرقة ٦ — المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى ٧

راموز ورقة عنوان المجموع للنّسخة (أ)

كتاب مشكوة الانوار

ومصفاة الاسرار

من تصنيف الشيخ الامام الاجل صدر الدين حجة الاسلام

محمد بن محمد بن محمد الغزالي نور الله مضجعه

أكتاب اسم شمس الهدى كلام حكمة اللاهوت ام نسخة منقولة من عالم الملكوت



راموز ورقة العنوان للنّسخة (أ)

١٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

راموز الورقة الأولى للنّسخة (أ)

٢٥٦

كتاب فيصل التفرقة

بين الإسلام والزندقة

من تصانيف الشيخ الإمام الأجل الشهيد حجة الإسلام محمد بن محمد بن محمد الغزالي رضي الله عنه

والصلاة على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين

فرغ من كتابته العبد الضعيف الراجي رحمة ربه محمد بن محمد المحسن الحسيني ضحوة يوم الجمعة الثامن عشر المحرم سنة سبع وثمانين وخمسمائة

راموز الورقة الأخيرة للنّسخة (أ)



مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار

تصنيف الشيخ الإمام أبي حامد

محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي

رحمة الله عليه

راموز ورقة العنوان للنّسخة (ب)

راموز الورقة الأولى للنّسخة (ب)

فطر السموات وفطر الأمر محركها فوصلوا إلى موجود منزه عن
كل ما أدركه بصر من قبلهم فأحرقت سبحات وجهه الأول
الأعلى جميع ما أدركه أبصار الناظرين وبصيرتهم إذ وجدوه
منزها مقدسا عن جميع ما وصفناه من قبل ثم هؤلاء انقسموا
فمنهم من احترق منه جميع ما أدركه بصره وانمحق وتلاشى
لكن بقي هو ملاحظا للجمال والقدس وملاحظا ذاته في جماله الذي
ناله بالوصول إلى الحضرة الإلهية فانمحقت منه المبصرات
دون المبصر ه وجاوز هؤلاء طائفة هم خواص
الخواص فأحرقتهم سبحات وجهه وغشيهم سلطان
الجلال فانمحقوا وتلاشوا في ذاتهم ولم يبق لهم لحاظ إلى أنفسهم
لفنائهم عن أنفسهم ولم يبق إلا الواحد الحق وصار معنى قوله تعالى
كل شيء هالك إلا وجهه لهم ذوقا وحالا وقد أشرنا إلى ذلك
في الفصل الأول وذكرنا أنهم كيف أطلقوا الاتحاد وبم
ظنوه فهذه نهاية الواصلين ه ومنهم من لم يتدرج
في هذا النمط الترقي والعروج على التفصيل الذي ذكرناه ولم
يطل عليهم الطريق فسبقوا في أول وهلة إلى معرفة القدس
وتنزيه الربوبية عن كل ما يجب تنزيهه عنه فغلب عليهم
أولا ما غلب على الآخرين آخرا وهجم عليهم التجلي دفعة
فأحرقت سبحات وجهه جميع ما لا أن يدركه بصر حسي

وبصيرة عقلية ويشبه أن يكون الأول طريق الخليل والثاني طريق الحبيب
صلوات الله عليهما والله أعلم بأسرار أقدامهما وأنوار مقامهما
فهذه إشارة إلى أصناف المحجوبين ولا يبعد أن يبلغ عددهم
إذا فصلت المقامات وتتبع حجب السالكين سبعين ألفا ولكن
إذا فتشت لا تجد واحدا منها خارجا عن الأقسام التي حصرناها
فإنهم إنما يحجبون بصفاتهم البشرية أو بالحس أو بالخيال
أو بمقايسة العقل أو بالنور المحض كما سبق فهذا
ما حضرني في هذا الوقت في جواب هذه الأسرار مع أن السؤال
صادفني والفكر متقسم والخاطر متشعب والهم إلى
غير هذا الفن منصرف وأقترح عليك أن تسأل الله تعالى
العفو عما طغى به القلم أو زلت به القدم فإن خوض غمرة
الأسرار الإلهية خطير واستكشاف الأنوار الإلهية
من وراء الحجب البشرية عسير غير يسير والسلام
آخر كتاب مشكاة الأنوار والحمد لله حق حمده
وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه
وهو حسبنا ونعم الوكيل
وافق الفراغ من [illegible] محمد [illegible] ليلة السبت
التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة أحد وأربع [illegible]

خ المقامات

راموز الورقة الأخيرة للنّسخة (ب)

97

كتاب
مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار
للإمام حجة الإسلام محمد الغزالي
قدس الله تعالى سره

راموز ورقة العنوان للنّسخة (د)

١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فايض الانوار وفاتح الابصار وكاشف الاسرار ومانح الاستار والصلوة على محمد نور الانوار وسيد الابرار وعلى آله وصحبه الطيبين الاخيار اما بعد فقد سالتني ايها الاخ الكريم سعدك الله لطلب السعادة الكبرى ورشحك للعروج الى الذروة العليا وكحل بنور الحقيقة بصيرتك ونقى عما سوى الحق سريرتك ان ابث اليك اسرار الانوار الالهية مقرونة بما يشير اليه ظواهر الايات المتلوة والاخبار المروية مثل قوله تعالى الله نور السموات ومعنى تمثيله ذلك بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة مع قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين حجابا من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره ولقد ارتقيت بسوالك هذا مرتقى صعبا ينخفض

98 دون اعاليه اعين الناظرين وقرعت بابا مغلقا لا يفتح الا للعلماء والراسخين ثم ليس كل سر يكشف ويفشى ولا كل حقيقة تعرض وتجلى بل صدور الاحرار قبور الاسرار ولقد قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر بل قال سيد الاولين والآخرين صلوات الله عليه ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة بالله ومهما كثر الاغترار وجب حفظ الاستار على وجه الاسرار ولكني اراك مشروح الصدر بالنور منزه السر عن ظلمات الغرور فلا اشح عليك في هذا الفن بالاشارة الى لوائح ولوامع والرمز الى حقائق ودقائق فليس الحرج في كف العلم عن اهله باقل منه في بثه الى غير اهله

فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم

راموز الورقة الأولى للنّسخة (د)

١٤٧

ولا يعد عددهم الا اذا فصلت المقالات ولعل حجب المسالك سبعين الفا ولكن اذا فتشت لم تجد واحدا منها خارجا عن الاقسام التي حصرناها فانهم اما ان يحجبون بصفاتهم البشرية او بالحس او بالخيال او بمقاييس عقلية العقل او بالنور المحض كما سبق فهذا ما حضرني في الوقت في جواب هذه الاسولة مع ان السوال صادفني والفكر منقسم والخاطر منشعب والهم الى غير هذا الفن منصرف ومقترحي ان شاء الله العفو عما طغى به القلم او زلت به القدم فان خوض لجة الاسرار الالهية خطير واستشفاف الانوار الالهية من وراء الحجب البشرية عسير غير يسير والله المستعان وعليه التكلان تم الكتاب بحمد الله تعالى وحسن توفيقه

143 على يد العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن عبد الصمد بن يوسف البكري البغدادي في يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة من سنة تسع وثلاثين وستمائة حامدا ومصليا على محمد وآله وصحبه وسلم

راموز الورقة الأخيرة للنّسخة (د)

كتاب مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار
من تصانيف الشيخ الإمام العالم الفاضل حجة الإسلام
علامة العالم زين الدين شرف الأئمة
أبي حامد محمد بن محمد بن محمد
الغزالي الطوسي رحمه
رحمة واسعة

راموز ورقة العنوان للنّسخة (هـ)

راموز الورقة الأولى للنّسخة (هـ)

كتاب أسرار الأنوار الإلهية للإمام العراقي المصري

ورسالة تفصيل النشأتين ورسالة تبصرة المبتدي

وتذكرة المنتهي في التصوف

راموز الورقة الأخيرة للنّسخة (هـ)

راموز ورقة العنوان للنّسخة (و)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الامام الاوحد ابو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي رضي الله عنه الحمد لله فايض الانوار وفاتح الابصار وكاشف الاسرار ورافع الاستار والصلوة على رسوله محمد نور الانوار وسيد الابرار وحبيب الجبار وبشير الغفار ونذير القهار وقامع الكفار وفاضح الفجار وعلى اله واصحابه الطيبين الطاهرين الاخيار وبعد فانك سالتني ايها الاخ الكريم وفقك الله لطلب السعادة الكبرى ورشحك للعروج الى الذروة العليا وكحل بنور الحقيقة بصيرتك ونقى عما سوى الحق سريرتك ان ابث

اليك اسرار الانوار الالهية مقرونة بتاويل ما يشير اليه ظواهر الايات المتلوة والاخبار المروية مثل قوله تعالى الله نور السموات والارض ومعنى تمثيله بالمشكاة والزجاجة والمصباح والزيت والشجرة مع قوله صلى الله عليه وسلم ان لله سبعين الف حجاب من نور وانه لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره ولقد ارتقيت بسؤالك هذا مرتقا صعبا تنخفض دون اعاليها اعين الناظرين وقرعت بابا مغلقا لا ينفتح الا للعلماء الراسخين ثم ليس كل سر يكشف ويفشى ولا كل حقيقة تعرض وتجلى بل صدور الاحرار قبور الاسرار ولقد قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر بل قال سيد الاولين والاخرين عليه السلام ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا نطقوا به لم ينكره الا اهل الغرة بالله ومهما كثر اهل الاغترار وجب

راموز الورقة الأولى للنّسخة (و)

العقل او بالنور المحض كما سبق فهذا ما حضرني في الوقت في جواب هذه الاراء مع ان السؤال صادفني والفكر متقسم والخاطر متعشب والهم الى غير هذا الفن منصرف وتقترح عليه ان نسال الله الكريم العفو عما طغى به القلم او زلت به القدم فان خوض غمرة الاسرار الالهية خطير واستشفاف الانوار الالهية وراء الحجب البشرية غير يسير والسلام تم الكتاب بعون الله وحسن توفيقه وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

حرر هذه الرسالة في دار النيخ قسطنطينية المحروسة في جامع اياصوفيا في تاريخ سنة ... ١٢٦٦

راموز الورقة الأخيرة للنّسخة (و)

1

كتاب كاشف الانوار

ومصفات الاسرار تاليف الشيخ الامام

الهمام ابي حامد الغزالي

قدس الله سره

وقف

جامع شريف سلطان سليمان خان عليه الرحمة

كتاب كاشف الانوار
للامام الغزالي طاب ثراه
في التصوف

راموز ورقة العنوان للنسخة (ز)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فايض الانوار، وفاتح الابصار، وكاشف
الاسرار، ورافع الاستار، والصلوة على رسوله
محمد نور الانوار، وسيد الابرار، وحبيب الجبار،
وبشير الملك الغفار، ونذير القهار، وقامع الكفار
وفاضح الفجار، وعلى آله واصحابه الطيبين الطاهرين
الاخيار اما بعد فقد سالتني ايها الاخ الكريم
فيضك الطلب السعادة الكبرى ورشحك للعروج

الى الذروة

٢

الى الذروة العلى وكحل نور الحقيقة بصيرتك
ونقى عما سوى الحق سريرتك ان ابث اليك
انوار الاسرار الالهية مقرونا باويل مايشير
اليه ظاهر الآيات المتلوة والاخبار المروية مثل
قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره
ومعنى تمثيله ذلك بالمشكاة والمصباح والزجاج
والشجرة مع قوله صلى الله عليه وسلم ان لله
سبعين الف حجاب من نور وظلمة وانه لو كشفها
لاحرقت سبحات وجهه كل من ادرك ببصره

راموز الورقة الأولى للنسخة (ز)

في جواب هذه الأسولة مع أن السؤال الصادر مني
الفكر منقسم والخاطر متشعب والهم إلى غير هذا
الفن منصرف ومفترض عليه أن أسأله الله تعالى
العفو عما طغى له العلم وزلت به القدم وأن الخوض
في غمرة الأسرار الأحدية من وراء حجاب البشرية
عسير غير يسير والحمد لله وصلواته على النبي الأمي
الهاشمي محمد وآله وأصحابه وأزواجه وذرياته أجمعين

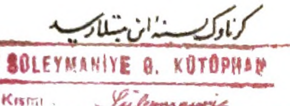


تم كتاب كاشف الأنوار وصفات الأسرار

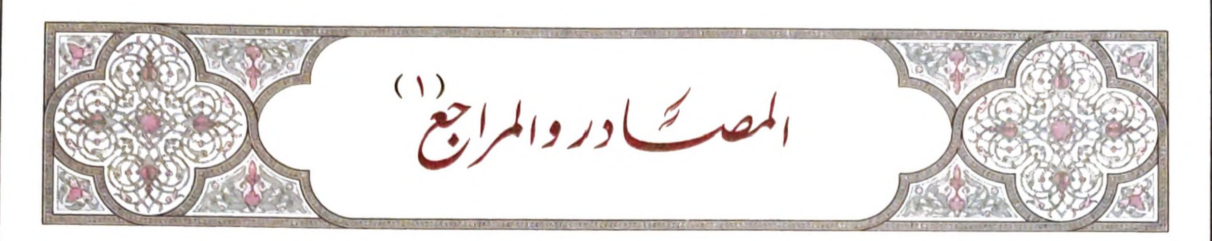
٦٦

من تأليف الشيخ الإمام العالم الرباني والحبر
الصمداني أبي حامد الغزالي قدس الله سره
على يدي العبد الفقير البائس المضطر
عبد الله الهندي حامدًا الله تعالى ومصليا
ومسلما على نبيه
محمد وآله

انعام عام تو همه را می رسد چه شد
گناه کس نسته ان مبتلا رسید



راموز الورقة الأخيرة للنسخة (ز)



١ ـ إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدِّين ، **للزبيدي** ؛ الإمام الكبير الحافظ الفقيه اللغوي الشريف أبي الفيض وأبي الوقت محمَّد مرتضى بن محمَّد بن محمَّد الحسيني الزبيدي الحنفي (ت ١٢٠٥ هـ) ، ط ١ ، (١٤١٤ هـ ، ١٩٩٤ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٢ ـ إحياء علوم الدِّين ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدِّين أبي حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي الطوسي الطابراني الشَّافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ الإصدار ٣ ، (١٤٤٣ هـ ، ٢٠٢١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٣ ـ الأربعون في التَّصوف ، **للسُّلَمي** ؛ إمام الصُّوفيَّة وصاحب تاريخها الحافظ أبي عبد الرَّحمـٰن محمَّد بن الحسين بن محمَّد الأزدي السُّلَمي (ت ٤١٢ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٨ هـ ، ٢٠٠٧ م) ، شركة دار المشاريع ، بيروت ، لبنان .

٤ ـ الأسماء والصفات ، **للبيهقي** ؛ الإمام الحافظ الفقيه الأصولي أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي الخسروجردي البيهقي الشَّافعي (ت ٤٥٨ هـ) ، ط ١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدىٰ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٥ ـ بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، **للهيثمي** ؛ الإمام الحافظ

---

(١) **اعتمدنا في فهرسة المصادر على التالي** : اسم الكتاب ، واسم المؤلف وسنة وفاته ، واسم المحقق ، ورقم الطبعة ، وتاريخ طبعه ، والدار الناشرة ومقرها .

نور الدِّين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي القاهري الشَّافعي (ت ٨٠٧ هـ) ، تحقيق الدكتور حسين أحمد صالح الباكري ، ط ١ ، (١٤١٣ هـ ، ١٩٩٢ م) ، مركز خدمة السنة النبوية بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، السعودية .

٦ ـ تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، **لابن عساكر** ؛ الإمام الحافظ الكبير المجود ثقة الدِّين أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر الدمشقي الشَّافعي (ت ٥٧١ هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

٧ ـ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ، **للطبري** ؛ الإمام المحدِّث المفسر المؤرِّخ أبي جعفر محمَّد بن جرير بن يزيد الآملي الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، عني به مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الأعلام ، ط ١ ، (١٤٢٣ هـ ، ٢٠٠٢ م) ، دار ابن حزم ودار الأعلام ، بيروت ، لبنان . عمان ، الأردن .

٨ ـ تفسير القرآن ، **لعبد الرزاق** ؛ الإمام الحافظ الثقة عالِم اليمن أبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري الصنعاني (ت ٢١١ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود محمد عبده ، ط ١ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٩ م) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان .

٩ ـ تفسير القرآن ، **للسمعاني** ؛ الإمام المحدِّث مفتي خراسان وشيخ الشَّافعية أبي المظفر منصور بن محمَّد بن عبد الجبار المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشَّافعي (ت ٤٨٩ هـ) ، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ، ط ١ ، (١٤١٨ هـ ، ١٩٩٧ م) ، دار الوطن ، الرياض ، السعودية .

١٠ ـ ديوان الشافعي وحكمه وكلماته السائرة ، **للشافعي** ؛ إمام الدنيا وفخر الزمان أبي عبد الله محمَّد بن إدريس بن العباس المطلبي

القرشي الشَّافعي (ت ٢٠٤ هـ) ، جمع وضبط يوسف علي بديوي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، مكتبة دار الفجر ، دمشق ، سورية .

١١ ـ ديوان الصاحب بن عباد ، **لابن عباد** ؛ الوزير الأديب المتكلم أبي القاسم إسماعيل الصاحب بن عباد بن العباس الطالقاني الأصفهاني (ت ٣٨٥ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين (ت ١٤٢٧ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٤ هـ ، ١٩٧٤ م) ، دار القلم ومكتبة النهضة ، بيروت ، لبنان .

١٢ ـ السنن (الجامع الصحيح) ، **للترمذي** ؛ الإمام الحافظ العلم الفقيه أبي عيسىٰ محمَّد بن عيسى بن سورة السلمي الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق العلامة أحمد محمد شاكر (ت ١٣٧٧ هـ) والعلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) والشيخ إبراهيم عطوة عوض (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٩٧ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

١٣ ـ السنن الكبير ، **للنسائي** ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي عبد الرَّحمـٰن أحمد بن شعيب بن علي النسائي الخراساني (ت ٣٠٣ هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، ط ١ ، (١٤٢١ هـ ، ٢٠٠١ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

١٤ ـ السنن ، **لابن ماجه** ؛ الإمام الحافظ الثبت المفسر أبي عبد الله محمَّد بن يزيد ابن ماجه الربعي القزويني (ت ٢٧٣ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور العلامة أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، طبعة خاصة عن نشرة جمعية المكنز الإسلامي لدىٰ دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

١٥ ـ السنن ، **لأبي داوود** ؛ الإمام الحافظ الثبت أبي داوود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق العلامة الشيخ محمد عوامة ، ط ٣ ، (١٤٣١ هـ ، ٢٠١٠ م) ، دار اليسر ، المدينة المنورة ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

١٦ ـ سير أعلام النبلاء (مع السيرة النبوية وسير الخلفاء الراشدين) ، للذهبي ؛ الإمام محدث الإسلام ومؤرخ الشام شمس الدِّين أبي عبد الله محمَّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي التركماني الدمشقي الشَّافعي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحقِّقين بإشراف الشيخ شعيب الأرنـؤوط (ت ١٤٣٨ هـ) ، ط ١١ ، (١٤١٧ هـ ، ١٩٩٦ م) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان .

١٧ ـ صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم وسننه وأيامه) « الطبعة السلطانية اليونينية » ، للبخاري ؛ إمام الدنيا حبر الإسلام الحافظ أبي عبد الله محمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، تشرف بخدمته والعناية به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ٣ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ، السعودية . بيروت ، لبنان .

١٨ ـ صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم) ، لمسلم ؛ حافظ الدنيا المجود الحجَّة أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، تشرف بخدمته والعناية به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، (١٤٣٣ هـ ، ٢٠١٣ م) ، دار المنهاج ودار طوق النجاة ، جدة ، السعودية . بيروت ، لبنان .

١٩ ـ الضعفاء ومن نسب إلى الكذب ووضع الحديث ومن غلب على حديثه الوهم ومن يتهم في بعض حديثه ومجهول روىٰ ما لا يتابع عليه وصاحب بدعة يغلو فيها ويدعو إليها وإن كانت حاله في الحديث مستقيمة ، للعقيلي ؛ الإمام الحافظ أبي جعفر محمَّد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي (ت ٣٢٢ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ١ ، (١٤٢٠ هـ ، ٢٠٠٠ م) ، دار الصميعي ، الرياض ، السعودية .

٢٠ ـ طبقات الشافعية الكبرىٰ ، **للتاج السبكي** ؛ الإمام الحافظ المجتهد النظار قاضي القضاة تاج الدِّين أبي النصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي الأنصاري السبكي الشَّافعي (ت ٧٧١ هـ) ، تحقيق العلامة محمود محمد الطناحي (ت ١٤١٩ هـ) والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو (ت ١٤١٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٦ هـ ، ١٩٧٧ م) ، طبعة مصورة لدىٰ دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، مصر .

٢١ ـ العظمة ، **لأبي الشيخ** ؛ الإمام الحافظ الصادق محدث أصبهان أبي محمَّد عبد الله بن محمَّد بن جعفر أبي الشيخ ابن حيان الأصبهاني الأنصاري (ت ٣٦٩ هـ) ، تحقيق رضاء الله بن محمد المباركفوري ، ط ٢ ، (١٤١٩ هـ ، ١٩٩٨ م) ، دار العاصمة ، الرياض ، السعودية .

٢٢ ـ الغرائب الملتقطة من مسند الفردوس (زهر الفردوس) ، **لابن حجر العسقلاني** ؛ الإمام الحافظ الحجَّة شهاب الدِّين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمَّد ابن حجر العسقلاني الكناني الشَّافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق مجموعة من الباحثين بعناية الدكتور أبو بكر أحمد جالو ، ط ١ ، (١٤٣٩ هـ ، ٢٠١٨ م) ، جمعية دار البر ، دبي ، الإمارات .

٢٣ ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، **لابن حجر العسقلاني** ؛ الإمام الحافظ الحجَّة شهاب الدِّين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمَّد ابن حجر العسقلاني الكناني الشَّافعي (ت ٨٥٢ هـ) ، بعناية العلامة محب الدين الخطيب (ت ١٣٨٩ هـ) وترقيم العلامة محمد فؤاد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٩٠ هـ ، ١٩٧٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة السلفية لدىٰ مكتبة الغزالي ، دمشق ، سورية .

٢٤ ـ القسطاس المستقيم في تقويم أهل التعليم ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدِّين أبي حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي الطوسي الطابراني الشَّافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، تشرفت بخدمته والعناية به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق

العلمي ، ط ١ الإصدار ٢ ، (١٤٤٠ هـ ، ٢٠١٩ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٢٥ ـ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التَّوحيد ، **لأبي طالب المكي** ؛ الإمام الفقيه شيخ الصوفية أبي طالب محمَّد بن علي بن عطية الحارثي المكي الشَّافعي (ت ٣٨٦ هـ) ، بعناية العلامة محمد الزهري الغمراوي (ت بعد ١٣٦٧ هـ) ، ط ١ ، (١٣١٠ هـ ، ١٨٩٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة المطبعة الميمنية لدىٰ دار صادر ، بيروت ، لبنان .

٢٦ ـ اللمع ، **للطوسي** ؛ الإمام الزاهد أبي نصر عبد الله بن علي بن محمَّد السراج الطوسي الصوفي (ت ٣٧٨ هـ) ، تحقيق محمد أديب الجادر ، ط ١ ، (١٤٣٧ هـ ، ٢٠١٦ م) ، دار الفتح ، عمَّان ، الأردن .

٢٧ ـ محك النظر ، **للغزالي** ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدِّين أبي حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي الطوسي الطابراني الشَّافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، تشرفت بخدمته والعناية به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ الإصدار ٢ ، (١٤٤٠ هـ ، ٢٠١٩ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٢٨ ـ مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، **لابن حنبل** ؛ إمام أهل الدنيا الحجَّة الفقيه أبي عبد الله أحمد بن محمَّد بن حنبل الشيباني البغدادي (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق جمعية المكنز الإسلامي بإشراف الدكتور أحمد معبد عبد الكريم ، ط ١ ، (١٤٣٢ هـ ، ٢٠١١ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٢٩ ـ المسند ، **لأبي يعلى الموصلي** ؛ الإمام الحافظ محدث الموصل أبي يعلىٰ أحمد بن علي بن المثنى التميمي الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) ، تحقيق الشيخ حسين سليم أسد الداراني (ت ١٤٤٣ هـ) ، ط ٢ ، (١٤١٠ هـ ، ١٩٨٩ م) ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، سورية .

٣٠ ـ معاني الأخبار (بحر الفوائد) ، للكلاباذي ؛ الإمام المحدِّث الصوفي تاج الإسلام أبي بكر بن محمَّد بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت ٣٨٠ هـ) ، تحقيق وجيه كمال الدين زكي ، ط ١ ، (١٤٢٩ هـ ، ٢٠٠٨ م) ، دار السلام ، القاهرة ، مصر .

٣١ ـ المعجم الكبير ، للطبراني ؛ الإمام الحافظ الرُّحلة الجوال أبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الشامي الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق العلامة حمدي عبد المجيد السلفي (ت ١٤٣٣ هـ) ، ط ٢ ، (١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٣ م) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .

٣٢ ـ معيار العلم ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدِّين أبي حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي الطوسي الطابراني الشَّافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ١ الإصدار ٢ ، (١٤٤٠ هـ ، ٢٠١٩ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٣٣ ـ المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار ، للعراقي ؛ الإمام الحافظ الفقيه المجدد القاضي زين الدِّين أبي الفضل عبد الرَّحيم بن الحسين بن عبد الرَّحمٰن العراقي المهراني الشَّافعي (ت ٨٠٦ هـ) ، عني به أشرف عبد المقصود ، ط ١ ، (١٤١٥ هـ ، ١٩٩٥ م) ، مكتبة دار طبرية ، الرياض ، السعودية .

٣٤ ـ المقصد الأسنىٰ شرح أسماء الله الحسنىٰ ، للغزالي ؛ الإمام المجدد حجة الإسلام زين الدِّين أبي حامد محمَّد بن محمَّد بن محمَّد الغزالي الطوسي الطابراني الشَّافعي (ت ٥٠٥ هـ) ، عني به اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، ط ٢ ، (١٤٤١ هـ ، ٢٠٢٠ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٣٥ ـ نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول صلَّى الله عليه وسلَّم ،

للحكيم الترمذي ؛ الإمام الولي المحدِّث المفسر الحكيم أبي عبد الله محمَّد بن علي بن الحسن المؤذن الترمذي الصوفي الشَّافعي (ت نحو ٢٩٥ هـ) ، تحقيق الدكتور نور الدين جيلار البوردري ، ط ١ ، (١٤٣٦ هـ ، ٢٠١٥ م) ، دار المنهاج ، جدة ، السعودية .

٣٦ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان ؛ الإمام المؤرِّخ قاضي القضاة شمس الدِّين أبي العباس أحمد بن محمَّد بن إبراهيم ابن خلكان البرمكي الإربلي الدمشقي الشَّافعي (ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق العلامة الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٨ م) ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

❋ ❋ ❋

مُحتوى الكتاب

الفصل الثالث

* * *